دليل المناضل

تجارب اشتراكية

٣

نيديو نيديف





الديمقراطية الشعبية
(التجربة البلغارية)

دار ابن خلدون

كورنيش المزرعة ـ بناية ريفييرا سنتر
بيروت هاتف ٣١٢٣٣٥
ص٠ب٠ ١١٩٣٠٨

دليل المناضل
تجارب اشتراكية - ٣ -

نيديو نيديف

الديمقراطية الشعبية

(التجربة البلغارية)

ترجمة
غضبان السعد

مقدمة المترجم

نظام الديمقراطية الشعبية شكل من اشكال ديكتاتورية البروليتاريا في بلغاريا ، من تجارب الشعوب الرائدة التي شقت طريقها عبر نضال ملحمي ضد الفاشية والامبريالية وضد العلاقات الرأسمالية من أجل التحرر الوطني والاجتماعي ، من اجل الانتقال بالبلاد من الرأسمالية ذات الطابع المشوه التي انهارت قبل ان تنفذ دورها التاريخي(١)٠ الى الاشتراكية وبناء المجتمع الاشتراكي المتطور بقيادة الطبقة العاملة وطليعتها الحزب الماركسي ـ اللينيني، الحزب الشيوعي البلغاري ٠

وهي بهذا المعنى التاريخي استمرار وتطوير ٠ حتمتها الظروف الوطنية الملموسة والتاريخية ، للطراز السوفياتي الذي أبدعته ثورة اكتوبر الاشتراكية العظمى في عام

«١» برنامج الحزب الشيوعي البلغاري ٠

١٩١٧ * ، هذه الثورة الاشتراكية الرائدة التي أفتتحت عهدا جديدا في تاريخ البشرية ٠

وقد عبر الحزب الشيوعي البلغاري في برنامجه عن طبيعة هذا العصر الذي بدأ بقيادة ثورة اكتوبر الاشتراكية العظمى، ومما جاء فيه:«ان الانتصارات التاريخيةللاشتراكية وتفكك النظام الاستعماري قد قضت نهائيا والى الابد على سيطرة الامبريالية التامة ٠ وان ميزان القوى الجديدة على الصعيد العالمي التي هي في صالح الاشتراكية تؤثر بشكل عميق على جميع العمليات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والايديولوجية في عالم رأس المال وعلى حل المعضلات الدولية٠ ان العالم القديم ، عالم الاستثمار والاضطهاد « يتداعى ويحتضر ٠ وان قوى الحركة الثورية المعاصرة تهاجم الامبريالية في جميع ميادين الحياة الاجتماعية، والعالم اجمع هو ميدان لهذه المعركة الهائلة »

لم يكن تحرر الشعب البلغاري في الحرب العالمية الثانية من السيطرة الفاشية والاطاحة بالنظام الملكي الفاشستي حيث لعب الجيش الاحمر دورا حاسما بهذا الشأن ، وليد صدفة

---

* من المعلوم ان لينين في «رسائل من بعيد» و «موضوعات نيسان» قد لخص تجربة الثوريين البورجوازيين الديمقراطيين في ١٩٠٥ وشباط ١٩١٧ في روسيا وتوصل الى استنتاج مفاده ان جمهورية سوفياتية هي الدولة الاكثر ملائمة لديكتاتورية البروليتاريا ٠ غ٠س

تاريخية ، بل هو استمرار لنضال هذا الشعب الذي كتبه وسقاه بدمه عبر مئات السنين ··· وهو يدافع عن ارضه ووطنه وحريته ضد المحتلين الاجانب رافعا رايات الثورة عبر تاريخه كشاهد ، كدليل على تمسكه بحريته واستقلاله الوطني ووحدة اقليمه · ولم تزل خالدة في وعي الشعب البلغاري ثورتا ايلول ١٨٧٥ ونيسان ١٨٧٦ ضد الحكم التركي الذي دام خمسة قرون منذ عام ١٣٩٦ (٢) ·

ولقد تكلل هذا الكفاح البطولي بالظفر بعد الحرب الروسية ـ التركية في اعوام ١٨٧٧ و ١٨٧٨ التي حررت الشعب البلغاري من نير الحكم الاجنبي ولعبت من الناحية المادية والتاريخية دور ثورة بورجوازية ديمقراطية فكنست الطغيان الاقطاعي ووضعته على طريق « تطور رأسمالي مستقل » (٣) ·

وفي خلال الحرب العالمية الاولى كانت الشغيلة

«٢» SACHWOTERBUCH DER GESCHICHTE, BANDI DIETZVERLAG BERLIN 1969 S. 302 .

LEXIKON, BANDI VERLAG ENZYKLOPADIE LEIPZIG, 1958, S. 276 .

٣ ـ بلغاريا في ظل الحكم الشعبي ـ دار النشر باللغات الاجنبية ـ صوفيا ص ٤ ·

البلغارية اول من وجه السلاح ضد الامبريالية والحرب بعد العمال والفلاحين الروس ، واتخذوا موقفا ثابتا بتأثير ثورة اوكتوبر العظمى ضد الملكية ومن أجل الجمهورية ·

وعلى أثر الانقلاب العسكري الفاشستي الذي اطاح بحكومة الفلاحين في ٩ حزيران ١٩٢٣ ، وعلى اثر الجرائم الوحشية التي اقترفها الفاشيون قام العمال والفلاحون البلغار بقيادة الحزب الشيوعي في ايلول ١٩٢٣ بأول ثورة ضد الفاشية في العالم واظهروا فيها بطولة مثالية وكتبوا صفحة مجيدة من تاريخهم بدماء ثلاثين الف شهيد (٤) ·

لقد استهدفت هذه الثورة الشعبية ذات الاطار الديمقراطي والتي جرت الى صفوفها جميع القوى الديمقراطية في البلاد ، قلب الديكتاتورية الملكية الفاشية واقامة حكومة للعمال والفلاحين · وقد أكد كولاروف وجي · ديمتروف في مقالاتهما في جريدة الحزب المركزية « رابوتنجسكي فستنبك » على الجبهة الوطنية باعتبارها ضرورة حيوية للتعاون بين شغيلة البلاد باسرها والقوى الديمقراطية من اجل شن نضال ضد الديكتاتورية الفاشية، وكشفا عن المحتوى الديمقراطي العام للنضال ضد الفاشية (٥) ·

٤ ــ المصدر السابق رقم «٢» ·

٥ ـ OUTLINE HISTORY OF THE COMUNIST INTERNATIONAL, PROGRESS PUBLISHERS, MOSCOW P. 190 .

وفي الحرب العالمية الثانية ورغم خيانة الحكام الفاشست والارهاب الوحشي ، اجتاز الشعب البلغاري هذا الامتحان القاسي بشرف وقدم عشرات الآلاف من المناضلين ورجال المقاومة الذين انتصبوا ضد المحتلين والفاشست البلغار ٠ ولم يستطع هتلر ولا الملك بوريس من ارسال جندي واحد الى الجبهة الشرقية (٦) ٠ بل كان عليهما ان يواجها الشعب البلغاري الذي انتصب شامخا الى جانب الشعب السوفياتي وشعوب العالم الاخرى في نضالها ضد المانيا الهتلرية وخططها لاستعباد العالم ٠ واتخذ هذا الكفاح شكل حركة مقاومة ذات طابع جماهيري ومنظم منذ دخول الجيوش الهتلرية الى بلغاريا في صيف ١٩٤١ ، حيث شكلت اللجنة المركزية للحزب الشيوعي البلغاري لجنة عسكرية مركزية أصبحت فيما بعد مقرا لقوى التحرر الوطني ٠ ونظم الحزب الشيوعي البلغاري حركة ضمت جميع القوى المعادية للفاشية والتي شكلت الجبهة الوطنية الموحدة في اواسط ١٩٤٢ اشترك فيها الشيوعيون والحزب الاشتراكي الديمقراطي والاتحاد الزراعي البلغاري وحزب زفينو وغيرهم من المنظمات ، وكان الحزب الشيوعي هو القوة المحركة والدافعة في هذه الجبهة ٠ وشملت حركة الانصار القطر كله وبالتالي وحد الحزب الشيوعي مغارز الانصار في

....

٦ ـ المصدر السابق رقم «٣» ص ٥ ٠

جيش ثوري للخلاص الوطني وبذلك اتسع نطاق النضـــال المسلح واكتسب آفاقا جديدة · « ٧ »

وفي التاسع من ايلول ١٩٤٤وبمساعدة الجيش الاحمر الحاسمة ، قام الشعب البلغاري بقيادة الحـزب الشيوعـي بثورة اطاحت بالحكم الملكي ـ الفاشستي واقام الحكـــم الشعبي · وانتقل الحكم لاول مرة في تـاريخ بلغاريـا الى ايدي الاكثرية الساحقة من الشعب حيث اصبح شغيلة المدن والارياف سادة مصائرهم بلا منازع · وتحولت الدولة من اداة لاضطهاد واستثمار الجماهير الشعبيـة الى قـــوة لتخليصها من كل استغلال واستبداد ···

ولا شك ان ثورة التاسع من ايلول والتي جاءت نتيجة منطقية لتطور النضال الطبقي ولمتطلبات القوانين الموضوعية لتطور المجتمع قد خلقت الشروط اللازمة لتغيير اقتصـــاد البلاد وثقافته بشكل جذري · وبذلك فتحت طريق بناء النظام الاشتراكي في بلغاريا وفي هذا يقول جيورجي ديمتــروف « لقد انتقلت السلطة الى ايدي الغالبية العظمى من الشعب ، والجماهير الكادحة في المدن والارياف ، ولعبت الطبقـــة العاملة وطليعتها الشيوعية دورا فعالا وقياديا · انانتفاضة ٩ ايلول التي انتصرت بالمساعدة الحاسمة التيقدمها الجيش

....

٧ ـ المصدر السابق رقم «٥» ص ٣٠٩ ·

السوفياتي البطل قد مهدت لبناء الاشتراكية في بلادنا »

وبديهي ان ظهور الديمقراطية الشعبية كشكل من اشكال ديكتاتورية البروليتاريا ، والانتقال بثورة التاسع من ايلول الديمقراطية الشعبية الى الاشتراكية والاشتراكية المتطورة ··· لم يكن الامر المفاجىء · لذا ينبغي النظر اليها من زاوية مجزى او تطور هذا الشكل من السلطة الثورية للدولة باعتبارها شكلا من اشكال ديكتاتورية البروليتاريا وشكلا من اشكال الديمقراطية الاشتراكية ·

ويحلل كرازين ـ الكاتب السوفياتي المعروف ـ طبيعة الثورات الديمقراطية الشعبية في اوروبا ، ويقول بالنسبة لبلغاريا « وحيث توجد في بلغاريا عمليا علاقات اجتماعية اقطاعية ، فان القضايا الديمقراطية قد حلت خلال النضال من أجل اقامة ديكتاتورية البروليتاريا · وأعطيت الاسبقية للقضايا الديمقراطية العامة في المراحل الاولى ، الا ان حلها قد تم خلال الثورة الاشتراكية ·

ثم يقول « ··· ان الطريق الى الثورة الاشتراكية في بلغاريا قد مهدت له الحركة المعادية للفاشية والتي شملت الامة باسرها ولعبت فيها الطبقة العاملة وحزبها الدور القيادي ·····

« لقد تم تطبيق افكار لينين بشأن اعادة تجميع القوى الطبقيةحول البروليتاريا فيبلغاريا بطريقة اصيلة· فالضربة التي وجهت الى اكثر اقسام البورجوازية رجعية ، والاجهاز على جهاز الدولة القمعي ، وتحشيد الشغيلة حول الطبقة العاملة وحزبها ـ كل هذه خلقت ، في مجرى النضال ضد الفاشية ،الظروف الضرورية للانتقال المباشر الى الاشتراكية ··· انها تمت في فترة اقامة وتوطيد ديكتاتورية البروليتاريا ·

« ان حلأكثر المهمات الحاحا خاصةذات الطابع الديمقراطي، قد اقنعت الفئات الواسعة من المجتمع بالحاجة الى تحقيق التحولات الاشتراكية البعيدة المدى · واستطاعت الثورة ان توطد مواقعها بسرعةباتساع القاعدة الاجتماعية لديكتاتورية البروليتاريا وازاحة ذلك القسم من البورجوازية المتهادنة · وبكلمة اخرى كانت هناك اعادة لتجميع القوى مع نظيرها من العمليات السياسية التي حللها لينين في نظريته حول تطور الثورة الديمقراطية الى ثورة اشتراكية »

لقد استطاع الحزب الشيوعي البلغاري بالاستناد على القاعدة الاجتماعية الجماهيرية الواسعة ، وعلى الجبهة الوطنية، وعلى المنظمات الاجتماعية والثقافية··· علىاجهزة وهيئات الدولة الجديدة ··· من حل المشاكل التي طرحتها الفترة الاولى ، اي مشاكل النضال ضد الفاشية والامبريالية

ومعالجة القضايا الديمقراطية العامة ، والانتقال الى الفترة الثانية،مرحلة البناء الاشتراكي باستخدام سلطة الديمقراطية الشعبية كشكل من اشكال ديكتاتورية البروليتاريا • وقد حلل ديمتروف طبيعة الديمقراطية الشعبية فيتقريره للمؤتمر الخامس للحزب الشيوعي البلغاري في عام ١٩٤٨ ووصف اسسها الاربعة التالية :

اولا ـ ان دولة الديمقراطية الشعبية تمثل سلطة الشغيلة ، سلطة الغالبية العظمى من الشعب بقيادة الطبقة العاملة •

ثانيا ـ ان دولة الديمقراطية الشعبية هي دولة الفترة الانتقالية تتجه نحو ضمان تطور البلاد على طريق الاشتراكية •••

ثالثا ـ ان دولة الديمقراطية الشعبية هي دولة أقيمت بالتعاون والصداقة مع الاتحاد السوفياتي ،بلاد الاشتراكية •••

رابعا ـ ان دولة الديمقراطية الشعبية تنتمي الى

....

٨ ـ Y. KRASIN - LENINREVOLUTION AND THE wORLD TODAY PROGRESS PUBLISHERS, MOSCOw 1971 P. 171 - 172 .

المعسكر الديمقراطي المعادي للامبريالية » « ٩ »

ولا شك في ان نشوء الديمقراطية الشعبية في بلغاريا وغيرها منبلدان الديمقراطيات الشعبية يؤكد موضوعة لينين القائلة بان جميع الامم ستصل الى الاشتراكية · فذلك شيء محتوم ، ولكن ليست جميعها تصل على نمط واحد تماما · فان كل واحدة ستجلب نمطها الخاص بهذا الشكل او ذاك من اشكال الديمقراطية ،بهذا النوع او ذاك من انواع ديكتاتورية البروليتاريا « ١٠ »

مثلما يؤيد نشوء الديمقراطياتالشعبية الفكرة النظرية والعملية الهامة للغاية في الماركسية ـ اللينينية وهي ان من حقكل شعب ان يختار هذا النظام الاجتماعي او ذاكباعتباره المسؤول عن سيادة بلاده ، وهو الذي يقرر على اساس من الارادة الحرة مسألة شكل سلطته السياسية ·

ومع هذا فان الديمقراطية الشعبية هي شكل سياسي لديكتاتورية البروليتاريا وتنتمي الى ذلك الطراز التاريخي لسلطة الدولة الذي تنتمي اليه السوفياتات ، وهي تتطور

....

٩ ـ POLITICAL AFFAIRS, NOV, 1952.

١٠ ـ LENIN COLLECTED WORKS, VOL. 30, P. 123 .

على اساس القوانين العامة للثورة الاشتراكية، وديكتاتورية البروليتاريا « ١١ »

وبالرغم من الفروق بين الشكل السوفياتي والشكل الديمقراطي الشعبي والنابعة من الخصائص الوطنية والواقع الملموس والتي سيجدها القارىء في متن البحث فان وحدة الطرازين ، الشكلين ، السوفياتي والديمقراطي الشعبي لتنظيم سلطة الدولة تبدو واضحة كل الوضوح وهي :

اولا – ان جميع الدول الاشتراكية ذات شكل جمهوري لادارة الدولة وتعتمد على القاعدة الانتخابية لهيئات واجهزة الدولة ، وعلى المركزية الديمقراطية ٠

ثانيا – المساواة العملية والدستورية بين جميع القوميات وضمان ذلك في الدستور والقوانين وفي تنظيم الدولة ٠

ثالثا – النظام السياسي الديمقراطي القائم على اساس مشاركة الجماهير في الحياة العامة وما يتمتع به المواطنون من حقوق اجتماعية – اقتصادية وسياسية واسعة ، على

....

١١ – شيتينين – السلام ، الديمقراطية ، الاشتراكية ، دار التقدم ، موسكو ١٩٧٠ ، ص ٧١ ٠

اساس الديمقراطية الاشتراكية ، بكفالة التشريعات القانونية وضمان الحقوق المادية ...

رابعا ـ الدور القيادي للاحزاب الشيوعية باعتباره الضمانة الاكيدة والصلبة لحكم الشعب . « ١٢ »

لقد استعرض الحزب الشيوعي البلغاري على الدوام في النضال من اجل تحقيق الثورة الاشتراكية وبناء المجتمع الاشتراكي ، المبادىء الماركسية ـ اللينينية وطبقها حسب الظروف الملموسة ، اي أقتران القوانين العامة للانتقال الى الاشتراكية وبناء الاشتراكية بالخصائص الوطنية للتطور الاشتراكي. وقد أكد جيفكوف السكرتير الاول للجنة المركزية للحزب الشيوعي البلغاري على الخطوط العامة لسير الثورة الديمقراطية الشعبية وبناء الاشتراكية في بلغاريا باعتبارها هي نفس الخطوط العامة لثورة اوكتوبر والتجربة السوفياتية في بناء الاشتراكية . وقال : « لكن الثورة في بلادنا لم تكن بالطبع نسخة طبق الاصل عن ثورة اوكتوبر فقد كان لها خصائصها التي تميزها عن ثورة اوكتوبر وحتى عن الثورات الديمقراطية الشعبية في البلدان الاخرى من بعض الوجوه . وهذه الخصائص ناتجة عن الظروف التاريخية والسياسية

١٢ ـ PROBLEMS OF THE COMMUNIST MOVEMENT, PROGRESS PUBLISHERS, MOSCOW, 1975, P. 203.

الاقتصادية التي تختلف في بلادنا عنها في البلاد الاخرى ·
وقد عرف حزبنا كيف يطبق القوانين الاساسية للماركسيـة
ـ اللينينية تطبيقا خلاقا على ظروف بلادنا الملموسة » · ثم
قال :« ان وجود الجبهة الشعبية الوطنية ، التي هي التعبير
السياسي لاتحاد الطبقة العاملة والفلاحين الشغيلة والمثقفين
المنبثقين من الشعب ، يشكل ميزة هامة لنضالنا الثـــوري
ونظامنا الاجتماعي والسياسي الذي أقيم في ٩ ايلول ١٩٤٤·
ان هــذه الجبهــة التي نشأت في حزيران ١٩٤٢ بمبــادرة
من الحــزب الشيوعــي ، لم تكن قط ، أفضل شكل لتحقيــق
وحدة جميع قوى الشعب الوطنية في النضال من اجل قلــب
الديكتاتورية الفاشية ، بل ساهمت ايضا في جذب الجماهير
الشعبية الواسعة الى النضال في سبيل التحول الاشتراكي
تحت قيادة الحزب الشيوعي ·

واليوم تقوم هذه الجبهة ، التي تضم في صفوفها أكثر
من ٢/٣ مليون عضو ، بعمــل كثير لتثقيف الشغيلة بــروح
الاشتراكية · لقد كان تشكيل الجبهة الوطنية نصرا كبيــرا
للحزب الشيوعي والشعب البلغاري ·

ثم قال « وان انتصار الاشتراكية في بلغاريا يؤكد من
جديد هذه الحقيقة التي لا جدال فيها ، وهي ان التجربـة
السوفياتية لبناء الاشتراكية تتضمن خطوطا وقوانين للثورة

الاشتراكية وبناء الاشتراكية المشترك لجميع البلدان» (١٣)٠

انها تجربة غنية بالدروس وتهم جميع المناضلين من اجل التحرر الوطني والاجتماعي ، كمرشد ، كدليل ، في النضال من اجل تحقيق الثورة الوطنية الديمقراطية بالظفر والانتقال الى الاشتراكية وبناء الاشتراكية ٠٠ ٠

غضبان السعد

٠

١٣ ـ تيودور جيفكوف ـ كيف انتصرت الاشتراكية في بلغاريا ، الوقت تشرين الاول ١٩٥٨ ٠

القسم الأول

طبيعة المرحلة الانتقالية

كتب كارل ماركس في مؤلفه «نقد برنامج غوثا» قائلا: «بين المجتمع الرأسمالي والمجتمع الشيوعي، تقع مرحلةتحول المجتمع الرأسمالي تحولا ثوريا الى المجتمع الشيوعي · وتناسبها مرحلة انتقال سياسي لا يمكن ان تكون الدولة فيها سوى **الديكتاتورية الثورية للبروليتاريا** (١) · وتنبأ مؤسس الشيوعية العلمية ان المجتمع الشيوعي سيمر خلال مرحلتين من التطور : المرحلة الاولى والادنى هي مرحلة الاشتراكية ، والمرحلة الثانية والاعلى هي مرحلة الشيوعية· وبرهن ماركس على حتمية تحول المجتمع الرأسمالي الى مجتمع اشتراكي فقط وكلية على أساس القانون الاقتصادي

«١» كارل ماركس وفردريك انجلز ـ المؤلفات المختارة ، المجلد الثاني ص ٢٧ ·

لتطور المجتمع الحديث • فتشريك العمل ، الذي يتخذ الاف الاشكال يتطور بسرعة لم يسبق لها مثيل ، وأنتشار الانتاج الواسع النطاق ، والنمو المتزايد لدى وقوة الرأسمال المالي – كل هذه قد كونت الاساس المادي لمجيء الاشتراكية الحتمي • كما ان البروليتاريا هي القوة الواعية والدافعة معنويا ، والمنفذة ماديا لهذا التحول • فنضالها ضد البورجوازية ، الذي يجد تعبيرا له اكثر من اي وقت مضى باشكال النضال المختلفةودلالاتها، يتطور الى نضال سياسي من اجل ان تستحوذ البروليتاريا على السلطة السياسية •

ان مرحلة بناء الاشتراكية تمثل مرحلة انتقال من النظام الاجتماعي الرأسمالي الى النظام الاجتماعي الشيوعي • وان محتوى مرحلتي الشيوعية ومعالمهما المميزة قد طورها لينين في كتابه **الدولة والثورة** حيث حدد مبادىء «الانتقال من الرأسمالية الى الشيوعية » ، مبادىء « المرحلة الاولى من المجتمع الشيوعي » و « المرحلةالاعلى للمجتمع الشيوعي » •

لقد انبثقت ديكتاتورية البروليتاريا باعتبارها عملية موضوعية وتأريخية وضرورية • وهي شرط لازم وظاهرة تحكمها القوانين في التحول الثوري من المجتمع الرأسمالي الى المجتمع الاشتراكي •

وقد كتب كارل ماركس وفردريك انجلز في اوائل عام ١٨٤٧ في **البيان الشيوعي** حول ديكتاتورية البروليتاريا ، واكدا انها ضرورية، لكي يحل محل آلة دولة « المستغلين » ، « تنظيم للبروليتاريا باعتبارها طبقة حاكمة » و « الظفر بالديموقراطية » . كما كشفا محتوى وواجبات ديكتاتورية البروليتاريا . وتوقعا ، وكانا على حق ، ان تجربة حركة العمال الجماهيرية والممارسة الثورية ستقرران الاشكال الخاصة التي يتخذها تنظيم البروليتاريا بوصفها طبقة حاكمة وباية صورة سينسجم هذا التنظيممع « الظفر بالديمقراطية » التامة والكاملة .

وقد قال لينين عند حديثه حول ديكتاتورية البروليتاريا بانها « شكل فريد للتحالف الطبيعي بين البروليتاريا ، طليعة الشغيلة ، وبين العديد من شرائح الشغيلة غير البروليتارية « البورجوازيين الصغار ، المالكين الصغار ، الفلاحين ، والانتلجنسيا ... الخ » او غالبيتهم العظمى ، تحالف ضد رأس المال ، تحالف استهدف اسقاط راس المال تماما ، وسحق مقاومة البورجوازية ومحاولاتها للعودة ثانية الى السلطة، تحالف انبثق بقصد اقامة الاشتراكية تماما وتعزيزها . انها طراز خاص من التحالف تكون تحت ظروف خاصة ... ان ديكتاتورية البروليتاريا لا تعني نهاية الكفاح الطبقي بل تواصله باشكال مختلفة ... هذا الكفاح الطبقي للبروليتاريا المنتصرة التي استحوذت على السلطة

السياسية ضد البورجوازية المندحرة التي لم تدمر بعد والتي ما تزال موجودة وتواصل المقاومة » « ٢ »

لذا فان فترة ديكتاتورية طبقة واحدة ، وعلى وجـــه التحديد ديكتاتورية الطبقات المضطهدة ، ضرورية من اجــل الغاء الطبقات واحراز الديمقراطية الكاملة لانها في موقــع تتمكن منه ليس فقط من اسقاط المستغلين، ليس فقط قمع مقاومتهم بلا رحمة ، بل وايضا شن نضال ايديولوجي ضد ايديولوجية البورجوازية بأسرهــا ، ضد الثرثــرة والمتاجرة بالعبارات حول الحرية والمساواة » ، وكما أكــد ماركس ان المتاجــرة بالعبارات تعني عمليا « الحرية والمســاواة » « للمالكيــن » و الحرية والمساواة بين الرأسماليين والعمال » (٣) ٠

ان ديكتاتورية البروليتاريا تبدأ باقامة السلطة السياسية للطبقة العاملة وتنتهي بالبناء التام للاشتراكية ٠ لـــذا فان طول هذه المرحلة سيختلف من قطر لاخر ويعتمد على الظروف المحلية : درجة تطور قوى الانتاج ، ضراوة الكفاح الطبقي ، المستوى الثقافي للسكان ٠٠٠ الخ ٠

لقد قال لينين: «ان الانتقال من الرأسمالية الى الشيوعية سيجلب بالطبع وفرة هائلة ومختلفة من الاشكال السياسية

«٢» في ٠اي٠لينين ، المؤلفات الكاملة ، المجلد ٢٩ ص ٣٧٦ ٠
«٣» المصدر السابق نفسه ص ٣٨٥ ٠

ولكن طبيعتها ستكون حتما واحدة : ديكتاتورية البروليتاريا » « ٤ »

واعتبر لينين منذ عام ١٩٠٥ في مقاله « مهماتنا وسوفياتات نواب العمال » السوفياتات كأجهزة للانتفاضة والتي ستتطور الى حكومة ثورية٠ وعرف في « موضوعات نيسان » السوفياتات مثلما عرفها في مؤلفاته الاخيرة باعتبارها شكلا من اشكال دولة ديكتاتورية البروليتاريا ، وبرهن على انها شكل حديث للديمقراطية واكثر اشكالها كمالا ٠

وان سوفياتات نواب العمال والجنود قد اعادت بعث طراز الدولة التي خلقتها كومونة باريس ، هذه الدولة التي عرفها ماركس بكونها شكلا سياسيا يمكن بواسطتها احراز الانعتاق الاقتصادي للشغيلة ٠

لقد جاءت السوفياتات الى الوجود كنتيجة لضرورة تاريخيةوكانت شكلا لتنظيم دولةالبروليتاريا خلقتها الجماهير نفسها ٠ واصبحت النموذج للديكتاتورية الطبقية التي بواسطتها تم دحر قوات المتدخلين وقوى الثورة المضادة والتغلب على الخراب والدمار ، وما حققته الشغيلة من

....

«٤» في ٠ اي٠لينين ، المؤلفات الكاملة ، المجلد ٢٥ ص ٣٨٥ ٠

مستوى حديث وعال للثقافة والانتصار التام للاشتراكية ·

وبعد ان ابتكر لينين جمهورية السوفياتات باعتبارها شكلا من اشكال ديكتاتورية البروليتاريا أكثر ملاءمة لروسيا، فانه لم يعتبرها الشكل الوحيد لسلطة البروليتاريا · ففي عام ١٩١٩ اوضح عند معارضته لاراء بوخارين حول تعميم الشكل السوفياتي لديكتاتورية البروليتاريا ، قائلا ان النموذج السوفياتي لتنظيم الدولةيجب الا يخلط بشكله السوفياتي فالنموذج السوفياتي لتنظيم الدولة لا يعني بالضرورة سوفياتات كالتي لدينا في روسيا · ذلكم لان النموذج السوفياتي بطبيعته ودوره ووظائفه في تنظيم الدولة – انما هو نموذج عالمي صالح على وجه العموم وحتمي ·

وتظهر التجربة التاريخية انه بالرغم من ان الثورة الاشتراكية تتخذ معالم متباينة في مختلف الاقطار ، فان القوانين الاساسية العامة تفصح عن نفسها : البروليتاريا التي يشكل الحزب الماركسي – اللينيني نواتها تتسلم الدور القيادي للشغيلة باسرها ، اقامة ديكتاتورية البروليتاريابهذا الشكل او ذاك ، تحالف الطبقة العاملة مع الجماهيرالفلاحية وغيرها من شرائح الشغيلة ، انهاء الملكية الرأسمالية واقامة الملكية الاشتراكية على وسائل الانتاج الاساسية ، اعادة تنظيم الزراعة تدريجيا على الاسس الاشتراكية ، برمجة الاقتصاد الوطني بهدف بناء الاشتراكية والشيوعية ، تحقيق

ثورة في المجال الايديولوجي والثقافي ، الغاء الاضطهاد القومي واقامة المساواة والصداقة الاخوية بين الشعوب ، الدفاع عن الاشتراكية ضد الاعداء المحليين والخارجيين ، التضامن الكامل مع الطبقة العاملة في الاقطار الاخرى باعتبارها سياسة مبدئية اساسية ·

ان القوانين العامة الى تحكم الثورة الاشتراكية وبناء الاشتراكية تشمل القضايا السياسية والاقتصادية والثقافية للنظام الجديد · وان تحقيقها يتخذ اشكالا مختلفة طبقا للظروف الملموسة · وقد تنبأ لينين بظهور ملامح وخصائص جديدة خلال الانتقال التاريخي على الصعيد العالمي من الرأسمالية الى الاشتراكية : ستصل جميع الامم الى الاشتراكية · ذلك شيء محتوم ولكن ليست جميعها تصل على نمط واحد تماما ـ اذ ان كل واحدة ستجلب نمطها الخاص بهذا الشكل او ذاك من أشكال الديمقراطية ، بهذا النوع او ذاك من انواع ديكتاتورية البروليتاريا ، بهذه الدرجة او تلك من السرعة من درجات التحول الاشتراكي لمختلف عناصر الحياة العامة » · ويتبع ذلك ضرورة استنباط طريق خلاق لتطبيق القوانين طبقا لظروف وخصائص كل قطر على انفراد ·

لقد انتصرت الثورة في روسيا وتم بناء الاشتراكية في ظروف صعبة تميزت بالحصار الرأسمالي · وأضاءت طريقا

جديدا في التاريخ متغلبة على مقاومـة الثورة المضادة في داخل البلاد وخارجها في وقت لم تكن هناك في الوجود اية دولة اشتراكية أخرى · وقد تركت جميع هذه الملامح بصماتها على أساليب وسرعة معدلات التحول الاشتراكي ،على اشكال وضراوة الكفاح الطبقي · اما انتصار الثورة الاشتراكيـة وبناء الاشتراكية في بلغاريا وبلدان الديمقراطيات الشعبية الأخرى فقد جرى في ظروف أكثر ملاءمة الامر الذي استدعى حتما ظهور اشكال جديدة ، وأساليب جـديـدة ومعـــدلات جديدة للنمو ·

ففي بلغاريا كانت الجماهير هي القوة الرئيسية فــي النضال ضد الرأسمالية والفاشية ، وتكونت لجان الجبهـة الوطنية ، خاصـة في مجـرى الثـورة ، وتوطدت دعائمها باعتبارها شكلا لتنظيم الشرائح الواسعة مــن الشغيلـــة ، وساهمت بنشــاط في القضــاء علــى بقــايــا البورجوازية والفاشية · كما ان تركيب ومهمات لجان الجبهة الوطنية تشبه السوفياتات التي اقيمت ابان ثورة اوكتوبر · فهي وان لم تكن صنوا لها تماما ، فانها كانت منتخبة بصورة مباشرة من قبل الشغيلة في المعامل والدوائر ومناطق المدن · ويرشح اعضاؤها من جانب القيادة المحلية للاحـزاب السياسـية ـ الاعضاء في الجبهة الوطنية ·

القسم الثاني

ديكتاتورية البروليتاريا

ما الذي يجعل ديكتاتورية البروليتاريا ضرورة لازمة ؟ في المقام الاول ، المقاومة المحتومة التي تنظمها البورجوازية الرجعية ۰ وتظهر التجربة التاريخية ان اية ثورة لا بد لها وان تتغلب على مقاومة الطبقات الرجعية ۰ وان تقيم الطبقة الصاعدة وهي تخرج عادة من احشاء المجتمع القديم ، ديكتاتوريتها ۰ فالثورة الفرنسية لعام ١٧٨٩ قد حققت تحولات حاسمة ضد الاقطاعية ، وصفت الاورستقراطية كطبقة مع مؤيديها وذلك عن طريق اقامة ديكتاتورية جديدة ۰ اما الثورة الاشتراكية، وهي في الجوهر اكثر عمقا في التحول الاجتماعي ، لالغائها استغلال الانسان للانسان،مدعوة للتغلب على مقاومةالمستغلين الذين يملكون السلطة ويستخدمونها لحماية مصالحهم ۰ وعليه فان درجة مقاومتهم تعتمد على عوامل كثيرة ، الا ان الهجوم على ملكيتهم الخاصة يؤثر تأثيرا بالغا وحيويا عليهم بالنظر لحرمانهم من امكانية الوجود كطبقة طفيلية ۰

وقد أوضح لينين عند تحليله لتجربة روسيا قائلا « ان المستغلين يتمسكون دائما بالامل بالعودة ثانية ويتحول هذا الامل الى محاولات لتحقيقه·فبعد معاناتهم اثر اندحارهم الاول ، اسقاط المستغلين ، والذي لم يتوقعوا حدوثه ، فانهم لم يصدقوا وحتى لم يتقبلوا الفكرة نفسها، لذا رموا بأنفسهم في المعركة بطاقة مضاعفة عشرات المرات يحدوهم انفعال مسعور مصحوبا بكره متزايد مائة مرة ، لاستعادة الفردوس المفقود لعوائلهم التي عاشت بترف والذين يجبرهم الان « الغوغاء المحتقرون » على العيش في حالة من العوز والفاقة « او للقيام بالعمل (البسيط) » · «٥» ·

وبعد الثورة تخسر البورجوازية الكبيرة سلطتهاالسياسية ولكنها تحتفظ بعدد من المزايا على الطبقة العاملة المنتصرة لان ليس من الممكن حرمانها من مواقعها في الاقتصاد بضربة واحدة وعلى الفور · لذا تستغل البورجوازية هذه المواقع لكي تخرب الاقتصاد وتعبث به · كما تحاول خلق الصعوبات وتشجع تذبذب الفلاحين الذي لا يمكن تجنبه باتجاه رجعي · ومن دون شك فان المستغلين يتفوقون على البروليتاريا المنتصرة في يوم انتصار الثورة ، بمزايا ثلاث رئيسية : خبرة اعظم في مجال الانتاج وادارته ، وبمستوى ثقافي اعلى، وبعلاقات طويلة الامد مع الهيئات الهندسية والتكنيكية

....

٥ ـ في اي·لينين ، المؤلفات الكاملة ، المجلد ٢٨ ص ٢٥٧ ـ ٢٥٨ ·

والاخصائيين في فن الحرب · وبالنظر لذلك فانهم بلا ريب يتمنعون بنفوذ ايديولوجي وسياسي مرموق · فلا غرابة اذن اذا ما مارسوا لبعض الوقت النفوذ والتأثير على جزء من الجماهير لان الاخيرة لا تستطيع التخلص على الفور مـن طبائعها التي تكونت عبـر القـرون · كـما ان « الارث » الرأسمالي للعناصر المنحطة والمجرمة هو بيئة ملائمـة لاستنجار مرتزقة الثورة المضادة ·

وعليه فان اقامة سلطة قوية ، ديكتاتورية البروليتاريا، يعتبر ضرورة لازمة خلال فترة الانتقال من الرأسمالية الى الاشتراكية من اجل التفوق على مزايا الطبقة المقلوبة ، ولشل مقاومتها ، وتوطيد انتصار الثورة البروليتارية · وهـي ضرورية ايضا في النضال ضد الرأسمال العالمي من اجـل حرمانه من خنق الانتصار الثوري اما بصورة غير مباشـرة بمساعدة القوى الرجعية داخل البلاد ، واما بصورة مباشرة من خلال تدخل مكشوف يعصف بسيادة البلاد ووحدتهـا الاقليمية · ويقدم التأريخ وفرة من الامثلة على احباط نجاح محتمل الوقوع من خلال توحيد الاجـراءات التـي تتخذها الرجعية المحلية والاجنبية ، كما يقدم وفرة من الامثلـة على محاولات قمع انتصار الثورة البروليتارية في بلاد عن طريق التدخل الاجنبي : وهكذا ليس هناك من حالة واحـدة خضعت فيها بوداعة القوى الرجعية للتحولات الثورية ودون اية مقاومة تذكر · وتبعا لمجال ودرجة هذه المقاومة ، وعلى

تكتيكات البورجوازية يتم اتخاذ مختلف التدابير القمعية وفرض القيود في كل قطر اشتراكي على انفراد ٠

ففي خلال الحرب الاهلية في الاتحاد السوفياتي كانت اشكال العنف حادة ازاء البورجوازية ٠ اما بالنسبة لبلغاريا وبعد اقامة النظام الديمقراطي الشعبي فيها وكذلك بالنسبة لسائر الديمقراطيات الشعبية الاخرى فان البورجوازية رغم انها قد شنت مقاومة عنيفة الا ان نضالها في مواجهة ميزان القوى الجديد لم يتخذ شكل الحرب الاهلية ٠ وقد نجحت الطبقة العاملة في بلادنا ، بالاعتماد على المساعدة الاخوية من جانب الاتحاد السوفياتي والحركة المعادية للفاشية ، من اقامة حكمها بالوسائل السلمية ٠ هذه هي احدى الملامح البارزة لديكتاتورية البروليتاريا في بلغاريا ٠ كما حتمتها ايضا درجة واشكال مقاومة البورجوازية البلغارية المقلوبة ٠ ذلكم لان تحطيم مقاومة الطبقات المعادية جزء لا يتجزأ من نشاط ديكتاتورية البروليتاريا ٠ انها استمرار ، باشكال جديدة ، للكفاح الطبقي ضد المستغلين داخل البلاد وضد قوى العدوان الخارجية في العالم الرأسمالي ٠ وقد اعتاد لينين القول ان ديكتاتورية البروليتاريا هي الكفاح الطبقي للبروليتاريا المنتصرة التي استحوذت على السلطة السياسية ضد البورجوازية المدحورة التي لم تدمر بعد وما تزال موجودة ولم تتوقف عن ابداء المقاومة ٠

وتصف الدعاية البورجوازية القمع السياسي من جانب ديكتاتورية البروليتاريا بكونه ، على وجه الحصر ، الارهاب والكبت وفرض القيود المباشرة على الحريات الديمقراطية . ان هذا عمليا ليس صحيحا على وجه الاطلاق . فالتدابير المتطرفة يتم اتخاذها فقط لمجابهة المقاومة النشيطة البورجوازية . وعندما تلجأ الاخيرة الى السلاح فان الطبقة العاملة تلجأ هي الاخرى الى التدابير النشيطة والسريعة وبتصميم لدرء مقاومتها ، ولكن عندما لا تلجأ البورجوازية الى السلاح فان ديكتاتورية البروليتاريا تحصر نفسها باتخاذ تدابير « لا عنفية » تستهدف التصفية التدريجية للظروف الملائمة لوجود الطبقات المستغلة : تأميم الصناعة الرأسمالية مقابل تعويض ، اعادة تثقيف ذلك القسم من البورجوازية ذات الاتجاه المؤيد للنظام الجديد مع توفير سبل انخراطهم بالعمل .

وفي بلغاريا لم يلجأ النظام الشعبي الى حرمان المستغلين واولئك الذين لا يعملون (ما عدا مجرمي الحرب وشركائهم) من الحقوق الانتخابية . هذه ايضا كانت ظاهرة خاصة لديكتاتورية البروليتاريا في بلادنا قررتها ظروفها السياسية والتاريخية الملموسة .

ان الطبقة العاملة تفضل دائما الاساليب اللاعنفية . وكلما اظهرت الفئات الواسعة من البورجوازية استعدادها

للتعاون مع الطبقة العاملة كان من السهل تحقيق التحولات الاشتراكية .. وكلما قل عدد الضحايا وحجم التخريب المادي في هذه العملية ، كان من الاسرع تدريب وتنظيم طبائع ذلك القسم المؤيد من الرأسماليين السابقين واولئك المثقفين الذين وقفوا سابقا الى جانبهم من اجل توفير الفرص لهم في المجتمع الجديد .

ولكن حتى عندما تلجأ ديكتاتورية البروليتاريا الى التدابير العنيفة فإنها تختلف من ناحية المبدأ عن تلك الاساليب التي تستخدمها الطبقات المستغلة التي تعتمد اساسا على العنف وتطبقها اقلية ضد غالبية الشعب .

ولا شك في ان قوة ديكتاتورية البروليتاريا تقع في اساسها الاجتماعي الواسع ، وتعبر عن ارادة الشعب ويطبقها الشعب . ولا تعتمد على الحراب ولا على رقابة البوليس والرشوة . وكان لينين يقول ان ديكتاتورية البروليتاريا تعتمد فقط على ثقة الجماهير التي تنجذب للمساهمة في عمل الحكومة بحرية ، وباوسع واكثر الطرق كفاءة .

ولكي تنتصر البروليتاريا وتقيم الاشتراكية وتطورها ، ينبغي عليها ان تحل مهمتين متشابكتين :

اولا ـ يجب ان تجذب جميع الكادحين والمستغلين من

خلال ابداء البطولة المتفانية والاخلاص للنضال الثوري ضد الرأسمالية . كما انها يجب ان تفوز بثقتهم وتنظمهم وتقودهم باتجاه اسقاط البورجوازية وقمع مقاومتها تماما .

وثانيا ـ ينبغي عليها ان تقود جميع الكادحين والمستغلين وكذلك شرائح البورجوازية الصغيرة في المجتمع باتجاه طريق البناء الاقتصادي الجديد ، باتجاه طريق خلق علاقة اجتماعية جديدة ، وضبط عمالي جديد ، وتنظيم عمالي جديد ، عن طريق اقتران اخر منجزات العلم والتكنولوجيا الرأسمالية مع الوحدة الجماهيرية للعمال الواعين طبقيا ، خالقي الانتاج الاشتراكي الواسع النطاق . وبينما يشكل الاضطهاد الوظيفة الرئيسية لدولة المستغلين ويقرر بذلك نشاطها باسره ، فان المهمة الرئيسية لدولة **ديكتاتورية البروليتاريا هي تحويل الاقتصاد الوطني والعلاقات الاجتماعية ـ السياسية بأسرها والحياة الثقافية والتعليمية واقامتها على اساس المبادىء الاشتراكية .**

ومهما يكن تذبذب البورجوازية الصغيرة كبيرا وحتميا، وتردد وعدم ثبات جماهير الشغيلة غير البروليتارية واشباه البروليتاريا وارتباطها بالنظام البورجوازي تحت « ابط » البورجوازية ، فان عليها ان تعترف بالنفوذ المعنوي والسياسي للبروليتاريا التي لا تسقط المستغلين وتسحق مقاومتهم وحسب ، بل ايضا تطور علاقة اجتماعية جديدة

اكثر كمالا ، هي الضبط الاجتماعي ـ ضبط العمال الموحدين والواعين طبقيا الذين لا يعرفون اي سلطان او حكـم يقف فوقهم سوى حكمهم واتحادهم هم انفسهم ، طليعتهم المثابرة والثورية والموحدة والمتمركزة والشجاعة والاكثر وعيـــا طبقيا · «٦»

ويكشف التاريخ ان الديكتاتورية والديمقراطية يمكـن ان تسيرا يدا بيد · فالدولة باعتبارها ديكتاتورية ازاء طبقات معينة تستطيع ان تكون ديمقراطية ازاء طبقات اخرى · ان المسألة هي ما هو كنه هذه الديكتاتورية ومـا هـي طبيعـة هذه الديمقراطية ومـن اجـل مـن ؟ فدولـة ديكتاتوريـة البروليتاريا هي دولة ديمقراطية بطريقة جديدة ـ من اجـل البروليتاريا والفقراء ، وديكتاتورية بطريقة جديدة ـ ضـد المستغلين ومالكي رأس المال المالي · وفـي الجوهـر فان ديكتاتورية الطبقة العاملة هـي سلطـة صحيحـة لدولـة ديمقراطية لانها تتضمن سيادة الاغلبية على الاقلية · بينما ديكتاتورية البورجوازية الكبيرة تعني سيادة الاقليـة علـى الاغلبية · لذا فان ديكتاتورية البروليتاريا هي **ديموقراطية من طراز جديد** ، ولانها ديكتاتورية تتخذ تدابير ديكتاتورية ضد اعداء الاشتراكية · ولكنها ديمقراطية صحيحة بالنسـبة للشغيلة وتنتهج الاساليب الديمقراطيـة ازاءهـم · ان لب

«٦» في اي·لينين ، المؤلفـات الكاملـة ، المجلد ٢٩ ص ٤١٧ ·

سياسة دولة البروليتاريا تتكون من توازن منطقي ما بين الاساليب الديكتاتورية والديمقراطية ، فالاولى تستخدم ضد البورجوازية المضادة للثورة ، بينما تتجه الثانية لصالح الشغيلة · لذا ليس من المقبول تماما منح القوى الرجعية الحرية في العمل بينما تحجب الحريات الديمقراطية عن الشغيلة

وعند انتهاج التدابير الديكتاتورية حيثما يكون ذلك ضروريا وطبقا للظروف المحلية ضد القوى الرجعية ، فان البروليتاريا لا تستخدم ذات الاساليب ولا يجوز استخدامها ازاء الجماهير في الريف وازاء حلفائها الديمقراطيين على وجه العموم · انها تقودهم الى الاشتراكية عن طريق الوسائل الديمقراطية : الاقناع ، التشجيع ، ضرب المثال ، التنظيم · ذلكم لان ديكتاتورية البروليتاريا كما وصفها لينين هي : « **شكل فريد للتحالف الطبقي بين البروليتاريا ، طليعة الشغيلة والعديد من الشرائح غير البروليتارية في المجتمع** « **الفلاحين ، البورجوازيين الصغار ، المالكين الصغار ، الانتليجنسيا··· الخ** » او غالبيتهم ، تحالف ضد المستغلين، في النضال من اجل اسقاط الرأسماليين تماما ، من اجل سحق مقاومة الثورة المضادة ومحاولاتها لاستعادة السلطة، من اجل الاشتراكية تماما وتوطيدها · «٧»

«٧» في اي·لينين ، المؤلفات الكاملة ، المجلد ٢٩ ، ص ٣٥٠ ـ ٣٥١ ·

ان ديكتاتورية البروليتاريا تنشأ من **النضال** التحرري لاي شعب وترتبط عضويا بخصائص هذا النضال وظـــروف شنه · لهذا السبب تتخذ في اقطار مختلفة اشكالا مختلفة · ويعتمد تطورها على ميزان القوى الطبقية في الثورة وعلى شدة اصطدامها · كما تعتمد اشكال **الديمقراطية السياسية** بعد الانتصار ايضا على القوى المحركة للثورة · فكلما كانت جبهة حلفاء الطبقة العاملة واسعة ، اي **ســـعة القاعـــدة الاجتماعية للثورة** ، كانت الشريحة التي يوجه ضدها العنف تافهة وبالتالي تصبح الديمقراطية البروليتاريـــة اوســـع · ونظرا **للاهمية العظمى لهذه العوامل** فان الخلق الثـــوري للجماهير والنشاط الواعي للاحزاب الماركسية ـ اللينينيـة يلعب دورا هاما على وجه الخصوص · ويتوجب على هذه الاحزاب ، انطلاقا من مبادىء ديكتاتورية البروليتاريا ، الا تتحجر على اي من اشكالها الاساسية · اذ ليس هناك اي شكل منها يمكن تحويله ميكانيكيا وفق مجموعة من الظروف الى شكل آخر · فعند خلق شكل السلطة السياسية للشغيلة، تأخذ الاحزاب الثورية بنظر الاعتبار كلا من الملامح الوطنية الخاصة **للقطر المعني بالذات وتجربة** حركة العمال العالمية ·

ان تجربة الاتحاد السوفياتي تظهر ان الشعوب تستطيع الوصول الى الاشتراكية فقـط كنتيجة لثـورة اشتراكيـــة وديكتاتورية البروليتاريا · وان تطور حركة التحرر العالمية قد خلقت عمليا شكلا آخر لحكم الشغيلة : هو **الديمقراطيـة**

الشعبية ، التي اصبحت ممكنة بفضل القاعدة الاجتماعية الواسعة للثورة ·· انها شكل فريد للحكومة الشعبية التي تأخذ على عاتقها انجاز وظائف ديكتاتورية البروليتاريا · وان ظهورها قد اخذ مكانه نظرا للجذور العميقة الممتدة في مجمل الازمة العامة للرأسمالية ويعكس التغيرات الطبقية التي حدثت في العالم الرأسمالي : تنامي عزلة رجال الاعمال الكبار ، التفاف قوى الشعب حول قيادة الطبقة العاملة ، والالتقاء المتزايد ما بين المهمات الديمقراطية العامة والاشتراكية ·· ويعكس ايضا الملامح التاريخية والوطنية لكل قطر على انفراد ·

ففي بلغاريا حيث التحالف الواسع للقوى الطبقية والذي استندت عليه دولة الديمقراطية الشعبية ، قد جعل من الممكن توسيع مدى الديمقراطية السياسية · فمنذ اللحظة الاولى لانبثاقها تمتعت بالديمقراطية جميع شرائح الفلاحين الكادحين والبورجوازية الصغيرة الحضرية والانتليجنسيا وغيرها من القوى الديمقراطية · ولم تكن هناك من حاجة للجوء الى « الارهاب الاحمر » (الذي كان في الاتحاد السوفياتي بمثابة رد فعل على « الارهاب الابيض ») ، ولا الى حرمان الرأسماليين ـ المستغلين والعاطلين عن العمل ، من الحقوق الانتخابية · لقد تطورت الثورة الاشتراكية في بلغاريا من النضال الوطني التحرري المعادي للفاشية الذي وحد شرائح واسعة من المجتمع بقيادة الطبقة العاملة · لهذا

كان لحكم الطبقة العاملة قاعدة اجتماعية واسعة . ومن هنا نشأت احدى الملامح الاساسيةالمميزة لديكتاتورية البروليتاريا في بلغاريا ـ وهي ان سلطة الدولة الجديدة قد استندت ليس فقط على البووليتاريا واشباه البروليتاريا بل وكذلك علـــى الشغيلـة باسرها فـي المدينـة والقريـة ، وعلـى غالبيـة الانتليجنسيا . كما تم ضمان الحقـوق السياسـية ايضـــا للبورجوازية الوطنية ما عدا تلك العناصر التي دبرت على المكشوف المؤامرات ضد الديمقراطية الشعبية . ومع هــذا فقد لعبت الطبقة العاملة وفقراء الفلاحين الدور الرئيســي . وتجسدت ديكتاتورية البروليتاريا ، منذ لحظة انبثاقها ، في الهيئات التمثيلية الوطنية التي يغلب عليها الشكل البرلماني التقليدي وذلك اعترافا وتأكيدا لمتطلبات ديمقراطية العمال .

وبالرغم من ان السوفياتات والنظام الديمقراطي الشعبي يعتبران شكلان لحكومة الشغيلة تقودها الطبقة العاملة ومن طراز واحد (بمعنى ما هو اساسي وضروري) ، فان هناك ايضا اختلافات معينة بينهما نظرا للظروف التاريخية الفريدة التي ادت الى أنبثاقهما . ففي جمهورية بلغاريا الشعبية يوجد نظام تعدد الاحزاب الذي يقف على رأسه الحزب الشيوعـي البلغاري . اما في روسيا فان احزاب البورجوازية ولوردات الارض لم تعارض وتقاوم الثورة البروليتارية وحدها ، بـل عارضتها ايضا احزاب البورجوازية الصغيرة ... بينما في بلغاريا وفي بعض الديمقراطيات الشعبية الاخرى ساند عدد

من هذه الاحزاب الانتقال الى المرحلة الاشتراكية من الثورة ٠ واعترفت بالدور القيادي للطبقة العاملة وحزبها الماركسي ـ اللينيني ، وناضلت سوية من اجل التطور اللاحق لمجتمعنا على طريق الاشتراكية ٠ وشارك ممثلو هذه الاحزاب في الحكومة ٠

لقد مارست الاحزاب الشيوعية والعمالية في الديمقراطيات الشعبية الدور القيادي ليس فقط من خلال الهيئات الحكومية والنقابات وغيرها من منظمات الرأي العام « كما هو عليه الحال في الاتحاد السوفياتي » ، ولكن ايضا من خلال جبهة وطنية باعتبارها شكلا جديدا **للتحالف النضالي للطبقة العاملة والفلاحين والبورجوازية الصغيرة والانتليجنسيا** ٠

وتختلف الديمقراطية الشعبية عن غيرها من الانظمة الاجتماعية بملامح معينة في تنظيم جهاز الدولة٠ **ففي بلغاريا** وبعض بلدان الديمقراطيات الشعبية الاخرى جرى استخدام وتطوير بعض الاشكال القديمة **للتمثيل الوطني العام** كالمؤسسات البرلمانية التقليدية ٠ حيث تم تدمير جهاز الدولة القديم في **مجرى التحولات الثورية** بدءا بأكثر العناصر رجعية والتي كانت في خدمة الرجعية والفاشية ، وبالتالي خلق جهاز دولة جديد ديمقراطي في طبيعته وبنيته ٠ ثم جرى تطويره تدريجيا وفق متطلبات البناء الاشتراكي ٠

وهنا ايضا اصبح واضحا احد القوانين التي تحكم كل ثورة اشتراكية : تصفية جهاز الدولة البورجوازية وخلق جهاز جديد يختلف جذريا في طبيعته وجوهره عن سابقه ٠

وتظهر التجربة البلغارية ان الانتقال الى الاشتراكية ممكن باستخدام المؤسسات الوطنية التمثيلية ونظام تعدد الاحزاب بما في ذلك وجود الاحزاب البورجوازية الديمقراطية على شرط ان يكون على رأسها الحزب الماركسي ـ اللينيني للطبقة العاملة ٠

ويؤكد الشكل السوفياتي والديمقراطي الشعبي لدولة الطبقة العاملة الاشتراكية ، ان التأريخ يعيد نفسه بالاساسيات ولكن ليس بالتفاصيل ، ذلكم لان انتقال الشعوب الاخرى الى الاشتراكية سيستدعي بدون شك ظهور اشكال اخرى لحكم الطبقة العاملة ولكن **الملامح الاساسية لدولة الطبقة العاملة ستكون هي نفسها في كل مكان ٠**

القسم الثالث

انتفاضة ايلول ومهمات الحكومة الشعبية

في ٩ ايلول ١٩٤٤ ، اذاع رئيس الوزراء لاول حكومة للجبهة الوطنية « كليمون جورجيف » من محطة الاذاعة نداء للشعب البلغاري ، اعلن فيه اسقاط الحكومة الفاشية ٠ وتم توقيف الوزراء السابقين والاوصياء وعددا كبيرا من المجرمين الفاشست ٠ وكان لوجود القطعات السوفياتية على الاراضي البلغارية شأن كبير ، الامر الذي ادى الى تحطيم مقاومة القوات البورجوازية الفاشية ٠ واحتلت على الفور قوات « البارتيزان » ـ **الانصار** ـ والوحدات المحلية المقاتلة بدعم نشيط من الشغيلة ، معاقل الحكومة القديمة : مقرات البوليس ، مخازن العتاد ٠٠٠ الخ ، وسلحت نفسها وانشأت الاجهزة المحلية لحكومة الجبهة الوطنية ٠ وانضمت الوحدات العسكرية بالجملة الى الشعب لتشارك في الانتفاضة ٠

وفي عشية انتفاضة ٩ ايلول ١٩٤٤ ، كان يخوض

القتال ، تحت قيادة الحزب الشيوعي البلغاري ، ما يزيد عن ٢٠٠ مفرزة من مفارز الانصار يبلغ تعدادها ٢٠٫٠٠٠ ثائر ، وما يزيد عن ١٠٫٠٠٠ محارب في الوحدات المقاتلة و ٦٧٠ لجنة من لجان الجبهة الوطنية ٠ ووقفت الشغيلة بأسرها وجميع الوطنيين الشرفاء الى جانبهم ٠ واستحوذت لجان الجبهة الوطنية ، التي لعب الشيوعيون فيها الدور القيادي ، على السلطة السياسية ٠ وانتزعت لجان الجنود، المشكلة حديثا ، قيادة وحدات الجيش ٠ وكانت هذه في الجوهر اجهزة الحكم الثوري، حيث تم في نهاية ايلول ١٩٤٤ استبدالها « بهيئات اركان نواب قادة الجيش » ٠ وصدر مرسوم حكومي في اليوم الثاني لاستلام السلطة نص على تشكيل وحدات حرس الجيش والمليشيا الشعبية ٠ واقصي جميع حكام المناطق والمقاطعات ورؤساء البلديات والبوليس الذين ايدوا الحكومة الفاشستية ، واستبدلوا بمواطنين ووطنيين مخلصين للجبهة الوطنية جاؤا من بين صفوف العمال والحركة المعادية للفاشية ٠وغني عن القول ان حكومة الجبهة الوطنية قد تشكلت من احزاب سياسية اربعة : الحزب الشيوعي البلغاري ، واتحاد المزارعين البلغاري، ومجموعة زفينو ، وشارك كل حزب من هذه الاحزاب باربعة وزراء ٠ اما الحزب الديمقراطي الاجتماعي « الجناح اليساري » فقد اشترك في الحكومة بوزيرين وكذلك اشترك المستقلون بوزيرين ايضا ٠

وبالرغم من انه لم يكن للحزب

الشيوعي البلغاري الاغلبية في الحكومة ، فانه كان القوة القائدة فيها نظرا لقاعدته الشعبية القوية التي تدعمها اغلبية افراد الجيش وكذلك العديد من الضباط . وقد استطاع الحزب الشيوعي البلغاري بالاستناد الى الشعب الذي حقق انتفاضة ٩ ايلول المظفرة والقوى التي نظمتها الجبهة الوطنية ، الانتقال الى الهجوم في النضال ضد الرجعية المحلية المعادية التي حرضها الامبرياليون الغربيون بقصد ارجاع عقارب الساعة الى وراء واسقاط الحكومة الشعبية . وقد اصبحت هذه النوايا واضحة عندما حاول « جيميتو » تشكيل حلف من العناصر الرجعية اليمينية ضمن الجبهة الوطنية واتخاذها موقف المعارض للحزب الشيوعي البلغاري . وادرك الحزب الشيوعي البلغاري والجبهة الوطنية ،في حينه ،طبيعة هذا الحلف وضرورة تحطيم القوى اليمينية من اجل تحقيق نهاية ظافرة للحرب ، وعقد معاهدة سلام عادلة ، وانجاز المنهاج الديمقراطي للجبهة الوطنية .

ان انتفاضة ٩ ايلول ١٩٤٤ التي تتوجت بالانتصار بالمساعدة الحاسمة من جانب الاتحاد السوفياتي ، قد وضعت نهاية لوجود النظام الاجتماعي الرأسمالي ، واقامت لاول مرة في تاريخ بلغاريا حكومة شعبية ، اشتراكية في طبيعتها وتعبر عن مصالح الغالبية من شعبنا . انها ايضا نتيجة لصحة النهج الستراتيجي والتكتيكي الماركسي ـ اللينيني الذي اتبعه الحزب الشيوعي البلغاري بالنسبة لحلفاء البروليتاريا .

فقد نجح الحزب في تشكيل تحالف متين للطبقة العاملة والفلاحين الكادحين ، ونظم الجبهة الوطنية وخلق القوات المسلحة للانتفاضة الشعبية .وكانت الطبقة العاملة بالتحالف مع الفلاحين الكادحين وبقيادة الحزب الشيوعي البلغاري ، القوة المحركة للثورة .

ومع هذا فان آلة الدولة البورجوازية القديمة لم تدمر تماما في ٩ ايلول ١٩٤٤ ـ حيث كانت بعض المواقع الاساسية يشغلها اناس لا تستطيع الحكومة. الشعبية الاعتماد عليهم اصلا رغم قلب النظام الفاشستي وتحطيم جهاز البوليس الملكي الفاشستي الذي كان موجها بالاساس لقمع الشغيلة . وكحقيقة واقعة كانت السلطة السياسية ، محليا، بايدي لجان الجبهة الوطنية ، ويشرف الحزب الشيوعي البلغاري على وزارة الداخلية وهيئات اركان نواب قادة الجيش المشكلة حديثا ولقد كانت هذه ، من دون شك ، لمصلحة الشعب ككل ، لان الحزب الشيوعي البلغاري كان وحده في موقع يستطيع منه تنظيم سحق العصابة الملكية ـ الفاشستية المقلوبة، وضمان الامن العام وقيادة الجيش المعاد تنظيمه واشتراكه بنجاح في الحرب الوطنية .. كان الحزب هو القوة السائدة ومارس نفوذا رائعا على الشعب وعلى لجان الجبهة الوطنية ، الامر الذي ساعد ، في الواقع ، على ان يلعب الدور القيادي في الحكومة ايضا من اجل شن نضال ناجح ضد العناصر الرجعية الفاشستية التي كانت تسعى لاعادة عقارب الساعة الى الوراء . ثم ان الغالبية العظمى

من شعبنا قد ساهمت بنشاط في حياة البلاد السياسية واستطاعت تحت قيادة الحزب ان تلعب دورا فعالا في النواحي السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية لحكومة البلاد. وبذلك تم خلق نظام جديد ،ديمقراطي شعبي في طبيعته والذي تطور الى ابعد واصبح اكثر كمالا. وهكذا لم تعد الدولة اداة لاضطهاد واستغلال الجماهير لمصلحة ومنفعة الرأسماليين، بل اداة لتدمير الرأسمالية ، لتحرير الشغيلة من جميع اشكال الاستغلال .

لقد قال جيورجي ديمتروف في احدى المناسبات : « بالرغم من ان انتفاضة ايلول ١٩٤٤ قد اخذت على عاتقها تحقيق المهمات الديمقراطية ،فانها قد هزت النظام الرأسمالي في بلادنا من الاساس وتخطت اطار البورجوازية الديمقراطية. هذا هو مظهرها الفريد الذي قررته ظروف تصفية الفاشية وتحقيق الحقوق الديمقراطية للشغيلة ، كما لم يكن بالامكان ضمان توطيدها وتطويرها بدون تحطيم سيادة الرأسمالية ووضع نهاية لها » . «٨»

ان دكتاتورية البروليتاريا باعتبارها مظهرا متميزا للدور التاريخي للطبقة العاملة بعد صولها الى السلطة فانها تتميز بثلاث نواح اساسية :

«٨» ـ جي . ديمتروف ، المؤلفات الكاملة ، المجلد ١٤ ص ٢٧٣ .

اولا ـ تستخدم الطبقة العاملة سلطة الدولة لسحـــق مقاومة الطبقات المستغلة ، ولتنظيم البلاد الاشتراكية والدفاع عنها ازاء هجوم الدول الامبريالية ، ولتعزيز علاقاتها مـــع الطبقة العاملة العالمية ، ولدعم وتطوير الحركات الثورية في البلدان الاخرى .

وثانيا ـ ان ديكتاتورية البروليتاريا تعنـــي استخـــدام سلطة دولة الطبقة العاملة لتخليص الشغيلة والجماهيـــر المستغلة تماما من سيطرة البورجوازية وتحريرهم من نفوذها لاقتصادي والايديولوجي ، وتوطيد تحالف الطبقة العاملة مع الشغيلة باسرها واقامة صداقة حقيقية بين صفوف جماهير الكادحين .

وثالثا ـ استخدام سلطة دولة الطبقة العاملة لبنـــاء مجتمع اشتراكي ، وتحقيق تحولات جذرية فـــي الميـدان الاقتصادي والسياسي وفي الحياة الثقافية من اجل بنـــاء الاشتراكية .

لقد طبقت حكومة الديمقراطية الشعبية في بلغاريـــا بقيادة الحزب الشيوعي البلغاري هذه المتطلبات في كل خطوة من خطواتها فتدمير جهاز الدولة القديم والقيام بوظائـف الدولة من قبل جهاز دولة يختلف جذريا عن الجهاز القديـم

وحيث لعب الحزب الشيوعي البلغاري دورا حاسما * بهذا الشأن ، قد خلق امكانيات للتصدي المستمـــر لمحـــاولات الطبقات المستغلة الرامية الى تنظيم المقاومة المضادة • كما كان ممكنا وسوية مع هذه الاجراءات تحقيق عدد مـــــن المهمات الاخرى بنجاح • ثم ان الحزب والجبهة الوطنية قد واجها مهمة عاجلة ذات أهمية فائقة وهي وضع نهاية مظفرة للحرب الوطنية وتوطيد وحدة الجبهة الوطنية لتصفية كل ما من شأنه ان يؤدي الى عدم وحدتها وكان الموقف آنذاك لا يسمح الا بتحقيق التدابير الاقتصادية العاجلة ، والتي تعتمد على دعم الاحزاب الاخرى في الجبهة الوطنية • وقد تم انجاز هذه التدابير بنجاح وبصورة صحيحة بفضل التكتيك الحكيم الذي انتهجه الحزب الشيوعي البلغاري •

لقـــد طـــور الحـــزب الشيوعـــي البلغـــاري ، مـــن خـــلال منهـــاج الجبهـــة الوطنيـــة ، مبـــادىء السيـــاســـة الـــداخليـــة والخـــارجيـــة للحكـــومـــة • واصبح توطيد الصداقة والتعاون مع الاتحاد السوفياتي حجر

* ينبغي ملاحظة انه رغم ان الملكية قد قلبت عمليا في ٩ ايلول ١٩٤٤ فانها قد واصلت وجودها شكليا نظرا لعدد من الاعتبارات السياسية حيـث مثلها الاوصياء الذين كانوا تحت اشراف الحزب والحكومـة الشعبية • وفي عام ١٩٤٦ وبعد الاستفتاء وطبقا لارادة الشعب تم الاعلان عن ان بلغاريا جمهورية شعبية •

الزاوية في سياستنا الخارجية · ذلكم لانها تنبع من المصالح الحيوية للشعب البلغاري الذي لم يكن بامكانه انجازالمهمات الكبرى التي تواجهه بنجاح لولا المساعدة الاخوية والمتفانية التي قدمها الاتحاد السوفياتي ·

اما مهمات سياستنا الداخلية فقد تخطت اطار دستور تورنوفو ** البورجوازي الديمقراطي ، ومثلت ، في الجوهر، تطويرا لديكتاتورية البروليتاريا بشكل ديمقراطية شعبية · **انها اتجهت للتخلص من الملكية الفردية واقامة سيطرة الدولة،** وشرعت بتطوير المزارع الجماعية وتنفيذ الاصلاح الزراعي ، ومصادرة ملكية اولئك الذين كدسوا الثروات عن طريــــق

....

* ادت الحرب الروسية ـ التركية في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الى التفاف الحركة الوطنية حول البورجوازية البلغاريـــــة الناشئة حيث توحد جناحاها (الجناح الراديكالي ـ الليبرالي وممثله كارفيلوف ، والجناح الديمقراطي الثوري وممثليـه راكوفسكــــي وبوتيف) ضد الاستعمار التركي الذي دام حوالى خمسة قرون · ولقد كانت ثورة نيسان ١٨٧٦ في ذروة التطورات في ذلك العمل · وتكلل النضال الملحمي للشـعب البلغاري بالظفر بعد الحرب الروسية ـ التركية ما بين ١٨٧٧ و ١٨٧٨ التي حررت الشعب البلغاري من النير الاجنبي ولعبت من الناحية الماديـة والتاريخية دور ثـــــورة ديمقراطية بورجوازية · وفي عــام ١٨٧٩ تم الاعــلان عــن دستور تورنوفو البورجوازي الديمقراطي غ·س ·

المضاربات ، ومحاكمة الفاشست المجرمين ، وشرعت باصلاح مالي لتحرير الشغيلة من عبء الضرائب بواسطة فرض ضريبة الدخل التصاعدية ، الى جانب تحقيق عدد آخر من الخطوات استهدفت ، بصورة رئيسية ، تحطيم المعاقل الاقتصادية للرأسمال الكبير · وقد كانت هذه بحق مظهرا هاما ميز سياسة الجبهة الوطنية باعتبارها سياسة ضد الرأسمالية استهدفت القضاء على القاعدة الاقتصادية للرأسمالية ، لتمهيد الطريق امام الانتقال الى الاشتراكية ·كما سيطرت دولة الديمقراطية الشعبية على السكك الحديدية والمنشآت المائية والنقل البحري والبري والمواصلات البريدية ومناجم الفحم الرئيسية وعلى ذلك العدد القليل من المشاريع الصناعية التابعة للدولة والبنوك والغابات ·· الخ وهكذا ازداد **القطاع الاشتراكي التابع للدولة** وتعاظم دوره في الاقتصاد الوطني نتيجة لاقامة سيطرة الدولة بما في ذلك سيطرتها على الصادرات والواردات ، ومصادرة الملكية غير المشروعة وكذلك توسيع النشاطات التعاونية ·

وبفضل عدد من العوامل التاريخية والاقتصادية وبالاستناد الى المساعدة الاخوية السوفياتية ، نجحت جمهورية بلغاريا الشعبية ، في فترة وجيزة نسبيا ، من الانطلاق نحو تحقيق المهمات ذات الطابع الاشتراكي ·

فاعادت الاقتصاد الى حالته الطبيعية ، واعادت تنظيم الصناعة والزراعة والثقافة على أسس اشتراكية ، آخـذة بنظر الاعتبار **الظروف المحلية** ، وبالاستناد الى **خبرة الحركة الشيوعية العالمية**. انها المهمة التي وضعها جيورجي ديمتروف امام الامة وقد تم تحقيقها الان وهي - انجاز ما انجزته الامم الاخرى في ظروف مختلفة في قرن ، في خلال عقدين من الزمان تحت قيادة الحكم الشعبي .

القســم الــرابع

ملامح الديمقراطية الشعبية

لقد اوضح الحزب الشيوعي البلغاري وظائف الديمقراطية الشعبية ودورها واتجاهاتها الاساسية عند تلخيصه لتجربة الديمقراطية الشعبية في بلغاريا • وقد فسر هذه القضايا علميا التقرير الذي قدمه جيورجي ديمتروف الى المؤتمر الخامس للحزب الشيوعي البلغاري في عام ١٩٤٨ • وهنا عالج ديمتروف لاول مرة **الملامح المميزة لدولة الديمقراطية الشعبية** •

يمكن تعريف الديمقراطية الشعبية بكونها حكم الشغيلة، حكم الغالبية العظمى من الشعب بقيادة الطبقة العاملة وطليعتها ، الحزب الماركسي ـ اللينيني • **لذا فان الديمقراطية الشعبية هي دولة المرحلة الانتقالية من أجل ضمان تطور بلغاريا على طريق الاشتراكية** • ويؤدي تطورها

الى توطيدها لتكون اكثر استعدادا لتحقيق مهمتها التاريخية· ثم أن دولتنا الديمقراطية الشعبية قد تكونت وتطورت بالتعاون مع الاتحاد السوفياتي والديموقراطيات الشعبية الاخرى · وهي تنجز وظائف ديكتاتورية البروليتاريا · انها سحقت مقاومة الطبقة الرأسمالية المقلوبة ، ونظمت الصناعة الاشتراكية ، وتغلبت على عدم ثبات البورجوازية الصغيرة والفلاحين المتوسطين ، وحشدت الشغيلة وراء الطبقة العاملة ·وهي تعزز مواقعها الان وباستمرار في جميع مناحي الحياة العامة والدولة · وحسبما جاء في التقرير « ان اي ميل لاضعاف تعاوننا مع الاتحاد السوفياتي هو ضد اسس الديمقراطية الشعبية فى هذه البلاد » · «٩»

كما تعزز الديمقراطية الشعبية تحالف الطبقة العاملة مع الفلاحين الكادحين ، وتثقف الشعب باسره بالروح الوطنية والاممية البروليتارية· وقد قال جيورجي ديمتروف: « ان الديمقراطية الشعبية بتجسيدها لسيادة الشغيلة بقيادة الطبقة العاملة ، تستطيع ويجب ، في الظروف التاريخية القائمة الان ، ان تنجز بنجاح وظائف ديكتاتورية البروليتاريا » · «١٠»

هناك اربعة انماط معروفة حتى الان للدولة الاشتراكية:

....

«٩» ــ جي· ديمتروف ، المؤلفات الكاملة المجلد ١٤ ص ٢٩٥ ·

«١٠» ــ المصدر السابق ص ٢٩٤ ·

كومونة باريس ، الجمهورية السوفياتية ، دولة الديمقراطية الشعبية ، والدولة الثورية الشعبية « كوبا » ٠

لقد كشف ماركس وانجلز عن الملامح المميزة لاول شكل تاريخي لديكتاتورية البروليتاريا ـ كومونة باريس ٠ حيث كانت جميع اجهزة الحكومة منتخبة انتخابا ديمقراطيا على اساس الاقتراع العام ، ولم يكن هناك اي جهاز حكومي غير منتخب اطلاقا ، وكان تنظيم الحكومة قائما تماما على اساس مساهمة الجماهير ٠ وتم تحطيم البرلمانية البورجوازية ، واقيمت الرقابة على النواب ومنح الناخبون حق سحبهم ، وصفي تقسيم السلطة وتركيزها بايدي المجلس والكومونة ، وجرى لحم مركزية سلطة دولة البروليتاريا مع المبادىء الديمقراطية الحقة ، وانشىء تحالف حر للكومونات ذات الحكم الذاتي من اجل تحقيق وحدة تامة لدولة البروليتاريا ٠

اما الجمهورية السوفياتية والجمهورية الديمقراطية الشعبية باعتبارهما شكلين لحكومة ذات طراز اشتراكي فتختلفان « كما قلنا سابقا » عن بعضهما الاخر في اساليب تنظيم الدولة ٠ ولكن ليس في **جوهرهما**٠ انهما ديكتاتوريتان للبروليتاريا ٠ وان المبادىء الاساسية لتنظيم اية سلطة للدولة الاشتراكية هي المساهمة الالزامية والثابتة والحاسمة للشغيلة في الحكومة ٠ كما ان المركزية الديمقراطية تقوم على اساس الدور القيادي للطبقة العاملة وطليعتها

الشيوعية • اما التحول الديمقراطي فيقوم على اساس المبادىء التالية : ـ انتخاب جميع هيئات سلطة الدولة من القمة الى القاعدة ، على ان تكون هذه الهيئات مسؤولة امام الناخبين وتقدم التقارير عن نشاطاتها « وينطبق هذا بصورة اساسية على تلك الهيئات المنتخبة انتخابا مباشرا » ، اتخاذ القرارات بالاغلبية ، اعتبار آراء الهيئات العليا ملزمة للهيئات السفلى ، خضوع الهيئات التنفيذية المحلية الى الهيئات التنفيذية العليا ولممثلي سلطة الدولة المحليين وتقديم التقارير اليها عن نشاطاتها ، الاهتمام بالظروف المحلية واخذها بنظر الاعتبار •

لقد استبعد جهاز الدولة لجمهورية بلغاريا الشعبية ، لاول مرة في تاريخ الامة ، الطبقات المستغلة ومنظماتها من المساهمة فيه • ويمارس وظائفه بمساهمة الجماهير النشيطة في الحكومة ، وهنا تكمن حقا قوته الرئيسية •

ويقول لينين حول هذا المظهر من مظاهر جهاز الدولة الاشتراكية: ان لدينا وسائل رائعة لم يسبق لها مثيل لتعزيز جهاز دولتنا ـ وسائل لم تمتلكها اية دولة رأسمالية في اي وقت من الاوقات ـ ان هذا الشيء الرائع هو جر الشغيلة ، جر الفقراء للمساهمة بالعمل اليومي لحكومة البلاد • «١١»

....

«١١» ـ تي • اي•لينين، المؤلفات الكاملة المجلد ٢٦ ص ٩٥ ـ ٩٦ •

وفي بلادنا تساهم الجماهير في اعمال الحكومة من خلال مجلس نواب الشغيلة ألتي تشكل **جزءا هاما من جهاز دولة الديمقراطية الشعبية** • ويمكن القول ، على وجه العموم ان المجلس الوطني هو المجلس الشعبي الاعلى في بلغاريا • وباعتباره هيئة تشريعية عليا للحكومة فانه يعني اكثر الهيئات أهمية فيها - مثل هيئة المحكمة العليا ودائرة المدعي العام • وغني عن القول ان المجالس الشعبية هي التي تكون، عن طريق الانتخابات او التعيين ، معظم جهاز دولتنا •

لقد تم تأسيس المجالس الشعبية باعتبارها هيئات للحكومة المحلية في كانون الاول ١٩٤٧ عندما صادق المجلس الوطني الكبير على دستور جمهورية بلغاريا الشعبية الذي يعبر عن التسجيل التشريعي لانتصارات ومنجزات الشغيلة وتوطيدها والتي جاءت نتيجة لانتصار انتفاضة ٩ ايلول ١٩٤٤ • كما وجهت الانتخابات للمجالس الشعبية ضربة قاصمة لبقايا جهاز الدولة البورجوازي • ومن دون شك ان المجالس الشعبية لنواب العمال هي بحق اكثر تنظيمات شغيلتنا شعبية وسلطة واتساعا •

ان **المجالس الشعبية** تحتل موقعا اساسيا في نظام ديكتاتورية الطبقة العاملة • وتمثل اكثر المنظمات اللاحزبية للشغيلة في المدينة والريف شمولا واتساعا ، وهي تعبير مباشر عن ديكتاتورية الطبقة العاملة• كما انها اكثر منظمات

الشغيلةديمقراطية وسلطةونفوذا وقادرة على استنفاراعضائها لانجاز المهمات التي تطرحها الحكومة من اجل تطوير البلاد • انها اطار هام لتدوير عمل الحكومة الشعبية ، ويتعزز مغزاها ودورها باستمرار في البناء الاشتراكي • ويشكل المجلس الوطني والمجالس الشعبية لنواب العمال القاعدة السياسية لدولة الديمقراطية الشعبية ، وهي هيئات تمارس الحكومة بواسطتها سلطاتها بصورة مباشرة • وتمثل نظاما متناغما لتنظيم سلطة الدولة من القمة الى القاعدة وتقوم بوظائفها كهيئات حكومية • انها تجسد تحالف الطبقة العاملة والفلاحين الكادحين • ثم ان المجالس الشعبية بفروعها ومستوياتها المختلفة هي هيئات محلية للحكومة في نظام ديكتاتورية الطبقة العاملة ، وان محتوى عملها تقرره وظائف دولتنا الديمقراطية الشعبية • ويحقق الحزب والحكومة من خلالها جميع مبادرات الحكم الشعبي • ذلكم لان هدفها ودورها هو ضمان انجاز المصالح العامة للدولة والشعب على الصعيد المحلي ، وتنظيم وتوجيه النواحي الاقتصادية والثقافية والحياة العامة للسكان في المناطق التي جرى انتخابها فيها •

ولا غرو فان المجالس الشعبية لنواب الشغيلة هي مجالس منتخبة بواسطة انتخابات ديمقراطية ومنظمة على اساس مبدا المركزية الديمقراطية • وتمارس وظيفتها من خلال عقد جلسات المجالس بكامل اعضائها ، وكذلك عن طريق لجانها التنفيذية واللجان الدائمة ••• الخ، وبالاستناد

الى مساهمة الجماهير الواسعة ومنظماتها السياسية والمهنية والجماهيرية ، وتقدم جردا عن اعمالها علانية وفي الاجتماعات الاخرى ·

وتتخذ المجالس الشعبية القرارات ضمن صلاحياتها ، من اجل انجاز مهماتها ، وتصدر الوصايا طبقا لنصوص الدستور والقوانين والمراسيم والوصايا الصادرة من قبل المجلس الوطني وطبقا للمراسيم والوصايا الصادرة من قبل الحكومة والمجالس الشعبية الاعلى منها لنواب الشغيلة · ومن دون شك فان هذه القرارات والوصايا ملزمة للسكان باسرهم ولجميع المنظمات في اقليم المجلس الشعبي · وهكذا فانها والحالة هذه تعتبر هيئات تشريعية محلية للحكومة ·

كما تمثل المجالس الشعبية ايضا ، جميع منظمات الشغيلة وهيئات دولة الديمقراطية الشعبية الامر الذي يقرر موقفها المتميز من نظام ديكتاتورية الطبقة العاملة ودورها في تسيير عجلة الدولة والتي بدونها لا يستطيع الحزب الشيوعي البلغاري قيادة بلادنا على طريق بناء المجتمع الاشتراكي ·

لذا فان انجاز وظائف المجالس الشعبية يتطلب :

ـ تطوير ودعم استقلالها الذاتي لكي تكون اكثر كفاءة

على ممارسة الزعامة بصورة عامة وانجاز سياسية الدولة ضمن اقليمها في النواحي الاقتصادية والاجتماعية والثقافية ·

ـ زيادة مساهمة المجالس الشعبية المنطقية في التخطيط وخاصة في مجال تنسيق نشاطات الوحدات الاقتصادية الموجودة في اقليمها بصرف النظر عن تبعيتها وارتباطها بأية جهة كانت ·

ـانجاز سياسة الدولة على وجه اتم في مجال الزراعة ضمن اقليمها · واعتبار هذه المهمة احدى المهمات الرئيسية للمجالس الشعبية المنطقية ·

ـ تعزيز دور المجالس الشعبية المنطقية والبلدية على اساس الالتزام بالقانون الاشتراكي التزاما تاما ·

ـ تركيز انتباه المجالس الشعبية اولا وقبل كل شيء على حل القضايا المتعلقة برفاه السواد الاعظم من الشعب وكذلك القضايا الاجتماعية ـ الثقافية ، ومعالجة حاجات السكان الاخرى وذلك بتوسيع حقوقهم في هذا الميدان ·

ـ اجراء التغييرات في ميزانيتها بربطها الى درجة كبيرة بالنتائج النهائية لعمل المنظمات الاقتصادية في

المنطقة · الى جانب تحقيق استقلالية اعظم في استخـــدام الموارد المحلية · «١٢»

وغني عن القول ان سلطة الدولة الاشتراكية فـــــي الديمقراطية الشعبية في بلغاريا منظمة على اساس مساهمة الشغيلة مساهمة تامة في اعمال الحكومة اما مباشرة او من خلال ممثليهم · وفي هذا يقول لينين : ينبغي على ديكتاتورية البروليتاريا الا تحقق التغيرات فقط في شـــكل المؤسســات الديمقراطية على وجه العموم ، ولكن يجب ايضا ان تقود الى احداث تغيرات لم يسبق لهـا مثيل فــي توسيــع الاستفادة العملية من الديمقراطية من قبل الشغيلة · وينبغي ان تتـم مساهمتها الجماهيرية في الحكومة مـن خـلال الاجهـزة التمثيلية المعبرة عن ارادة الطبقة العاملة وحلفائها ، الـى جانب استحواذها على ماكنة الدولة من خلال زعامتهـــا ورقابتها · لــذا فان التغيـرات الحاصلـة فــي المؤسسات الديمقراطية تحت ظل الاشتراكية تكمن في اقامة الهيئـــات المنتخبة عند قاعدة سلطة الدولة باسرهـا ، وفــي اجهزة السلطة جميعها من القمة الى القاعدة ، وتحقيق اشرافهـــا على الهيئات التنفيذية ·

«١٢» ـ تي· جيفكوف ـ الاتجاهات الاساسية في التطور اللاحـــق لنظام ادارة مجتمعنا · صوفيا ١٩٦٨ ·

وقد اشار الرفيق تيودور جيفكوف عند حديثه عن انجاز مهمات حكومة الدولة انها ينبغي ان تتم وفق الخطوط التالية :

- التطبيق المثابر والتطوير الخلاق للمبدأ اللينيني ، مبدأ المركزية الديمقراطية ٠

- التحقيق التام للمبدأ الماركسي - اللينيني لوحدة النشاط التشريعي والتنفيذي ٠٠٠

- انسجام بنية ووظائف سلطة الدولة من القمة الى القاعدة ، مع مبادىء ومتطلبات النظام الجديد للادارة الاقتصادية وذلك بتطبيق المنجزات العلمية على واقع الحياة ٠

- تطوير نظام الحكم المحلي في مناحي الحياة المختلفة باعتباره تعبيرا ووسيلة للتوسع اللاحق للديمقراطية الاشتراكية ٠

- واخيرا ينبغي ان يكون نشاط هيئات حكومة الدولة من القمة الى القاعدة بقيادة الحزب الشيوعي البلغاري ٠ «١٣»

....

«١٣» - المصدر السابق ص ٥٩ - ٦٠ ٠

ومما لا شك فيه ان ازدياد تنامي انجازات الشغيلة البلغارية في جميع المجالات السياسية والاقتصادية وفي الحياة الثقافية ، يقرر التطور الديمقراطي لنظام الانتخابات· هذا النظام الذي يكفل وجود تنظيم مناسب للهيئات التمثيلية يمارس الشعب من خلالها السلطة السياسية الحكومية ويؤمن امكانية انتخاب **ممثلي العمال والفلاحين** والمزارعين التعاونيين والانتليجنسيا الشعبية ، القادرين عن جدارة على توجيه الحياة في البلاد، الى المجلس الوطني والمجالس الشعبية· وعليه فان جميع الامتيازات والتمييز انما هي أمور غريبة على نظام الانتخابات الاشتراكي · ذلكم لان دستورجمهورية بلغاريا الشعبية ينص على انتخاب جميع الهيئات التمثيلية من القمة الى القاعدة على اساس الانتخاب العام والمباشر من خلال الاقتراع السري الذي يساهم فيه جميع المواطنين البلغاريين بصرف النظر عن الجنس والعرق والقومية والمعتقد والتعليم والمركز الاجتماعي ومحل الاقامة · كما يحق للنساء والجنود وشعوب الاقليات القوميةوالشبيبة بأجمعها من اللذين أكملوا سن الثامنة عشرة الادلاء بأصواتهم · وهكذا فان الطبيعة الشاملة لحق المواطنين بالادلاء باصواتهم تعكس الديمقراطية الصحيحة للحكومة الشعبية · هذه الديمقراطية التي تستطيع من خلالها الجماهير ممارسة الرقابة الحكومية واشراف الرأي العام على نشاطات مختلف هيئات الدولة · كما تتحقق ديمقراطية النظام الانتخابي الاشتراكي بالمساهمة المباشرة والسرية في الحملات الانتخابية وعلى جميع المراحل·

فالحق المباشر للانتخاب يرفع من هيبة ونفوذ الهيئات التمثيلية ويوطد علاقاتها مع الجماهير · هذا هو الضمان لتحسين عملها وتحقيق اشراف افضل على نشاطات اولئك الذين انتخبوا ، وعلى حكومة الدولة باسرها · مثلما يتيح قانون الانتخابات والممارسة العملية امكانية اجراء مناقشات واسعة مع المرشحين الى المجلس الوطني والمجالس الشعبية حيث يجري التأكيد على مزاياهم الشخصية والسياسية ومقدرتهم على العمل وكذلك امكانياتهم على تحمل المسؤولية ·

ان منظمات الرأي العام للشغيلة ـ الحزب الشيوعي البلغاري ، الجبهة الوطنية ، الاتحاد الزراعي البلغاري ، نقابات العمال ، المنظمات التعاونية ومنظمات الشبيبة والاتحادات الثقافية ـ لها الحق في تقديم المرشحين للمجلس الوطني والمجالس الشعبية · وطبقا للتجربة يتم تسجيل هؤلاء المرشحين نيابة عن الجبهة الوطنية · ويشكل هذا الترشيح بحد ذاته تعبيرا عن الوحدة المعنوية والسياسية للشغيلة في بلادنا · ويعتبر المرشحون ممثلين في المجلس الوطني واعضاء في المجالس الشعبية بمجرد حصولهم على اكثر من ٥٠٪ من الاصوات فيما اذا صوت اكثر من نصف الناخبين في المنطقة الانتخابية المعنية ، كما تبدو الديمقراطية جلية ايضا بتجديد تركيب الهيئات التمثيلية مع ملاحظة استمرارية قيامها بوظائفها · وهكذا تبرز امكانية انخراط اعداد متزايدة من المواطنين في مدرسة حكومة الدولة

وتخرجهم منها • الى جانب تجنب خطر تحول المنتخبين الى برلمانيين محترفين • ولما كان المنتخبون الشعبيون هم الممثلين السياسيين للشغيلة فانهم ملزمـون بالعمل طبقا لارادتهـا والدفاع عن مصالحها • هذا من جهة ومن جهة اخرى فان حقوق المواطنيـن لا تنحصـر في التصويـت وحسـب بـل ويستطيعون ايضا ، بعد الادلاء باصواتهم ، ممارسة الاشراف على الهيئات التمثيلية وعلى جميع المنتخبين حيث يطلب اليهم تقديم التقارير عن عملهم • وعندما يثبت لديهم ان المنتخـب لا يبرر ثقتهم فانهم يستطيعون سحبه • هذا حق سياسي هام للمواطنين ، وهو تعبير عن سيادة شعبنا وضمانة حقيقيـة للرقابة التي تمارسها الجماهير على عمل الاشخاص الذين ينتخبونهم •

كما ان اقتران **الديمقراطية** مع السلطة الشعبية التامة والابداع الذاتي ، واجراء الانتخابات لهيئات الدولة من القمة الى القاعدة والتزامها بتقديم التقارير عن اعمالها الـى الناخبين ، **والمركزية** ـ اي القيـادة مـن مركـز واحـد ـ والانضباط الواعي والالزامي في انجاز المهمات ، والطبيعة الالزامية للقرارات التي تتخذها الهيئـات العلـيا بالنسـبة للهيئات السفلى منها وتنفيذها بدون قيد او شرط ـ هي امور تشكل جوهر المركزية الديمقراطية التي هي الاساس المبدئي في بناء دولة الديمقراطية الشعبيـة • ثـم ان المركزيـة الديمقراطية تحت ظل الاشتراكية هي ضـرورة موضوعيـة

تقررها القاعدة الاشتراكية ، نظام الاقتصاد المبرمج • لذا فان المركزية والديمقراطية هما مظهران لحكومة الدولة الاشتراكية الموحدة • وقد اكتشفت الماركسية ـ اللينينية في مبادىء المركزية الديمقراطية ، العلاقة الوحيدة الممكنة المتناغمة بين حرية الشغيلة والفرد من جهة وبين الدولة وهيئاتها من جهة اخرى •

ثم ان ادارة الاقتصاد الاشتراكي لا يمكن تصورها دون المركزية الديمقراطية بسبب انها توحد بين قيادة الدولة وبرمجتها للاقتصاد من مركز واحد وبين استقلالية الوحدات الدنيا وما تتخذه من قرارات حول طرق واساليب انجاز المهمات • ولانها توحد ايضا بين الانضباط الصارم ومبادرة الهيئات المحلية على اوسع نطاق وبين الاستفادة من هذه الامكانيات •

لذا فان هناك علاقة ديناميكيةديالكتيكية بينالديمقراطية والمركزية باعتبارهما مظهرين للمركزية الديمقراطية الشعبية التي تتغير طبقا لظروف ومراحل البناء الاشتراكي والنضج السياسي للجماهير • وان العصف بهذه العلاقة يؤدي دائما الى ظهور التشويهات ذات الطابع البيروقراطي والدوغمائي والتحريفية والسنديكالية ـ الفوضوية •

وفي بلغاريا يستطيع المواطنون احيانا ممارسة حقوقهم

مباشرة ايضا دون وساطة الهيئات التمثيلية · ومع هذا فان الديمقراطية المباشرة في المجتمع الحديث لا تحل تماما محل هيئات التمثيل الشعبي · واذا كان من الممكن حل بعض القضايا التي تشغل بال المواطنين مباشرة ، فان القضايا الاخرى يجري حلها عن طريق الهيئات التمثيلية في المستقبل ايضا · لذا فان تطور الديمقراطية يتطلب بالضرورة انخراط الشغيلة بفعالية متزايدة في نشاطات الحكومة عن طريق تطوير الاشكال والاساليب التنظيمية للديمقراطية المباشرة ايضا · **فالاستفتاء هو احد الاشكال المباشرة** لتحقيق سلطة الدولة حيث يحل المواطنون بعض القضايا التي تخص الدولة بصورة مباشرة وباستقلالية تامة · اما الشكل الاخر فهو **المناقشة العامة او على مستوى الامة** والتي يجريها الاخصائيون حول بعض مشروعات القوانين وغيرها من اللوائح التشريعية قبل مناقشتها من قبل الهيئات المخولة باقرارها ·

كما ان الرقابة الشعبية التي تمارسها عادة منظمات الرأي العام وهيئاته ، اي الرأي العام الاشتراكي ، هي شكل اخر لمساهمة الشغيلة في نشاطات الحكومة · وهي وسيلة هامة للكشف عن النواقص في عمل اجهزة الدولة ومن اجل التغلب عليها · ثم ان هذه الهيئات المحلية للجان رقابة الدولة هي هيئات تقوم على اساس طوعي وبدون اجر ·

وتبرز مساهمة الشعب ايضا في حل القضايا التي تخص الدولة في ما يسمى بـ **العمل على اساس الرأي العام** ضمن نظام جهاز الدولة . وهو شكل من اشكال العمل الطوعي وبدون اجر لمنفعة المجتمع الاشتراكي والدولة . ويشمل العلاقات بين الدولة والمنظمات الاجتماعية والاقتصادية من جهة والشعب من جهة اخرى . انها تحتوي على براعم المجتمع الشيوعي المقبل عندما لا تكون النشاطات التنظيمية بايدي فئة اجتماعية معينة ، اي بايدي المحترفين. ذلكم لان التحول الديمقراطي للحياة العامة والاقتصادية سيتبع طريق التطور المتنامي للعمل على اساس الرأي العام في الدولة والمنظمات الاقتصادية والحزب ومنظمات الرأي العام والمنظمات السياسية والثقافية والتعليمية .

كما يشمل ، العمل على اساس الرأي العام ، على تحقيق الاستفادة من تجربة ومعرفة الاخصائيين العاملين طوعيا وبدون اجر . وهكذا تبرز امكانيات لتناقص عدد الاشخاص المسجلين في قائمة الرواتب . الى جانب ظهور امكانيات لانخراط الشغيلة بشكل اتم واشمل في تسيير القضايا الادارية محليا وفي المركز من اجل توسيع تمتع الشعب بالحكم المحلي .

وغني عن القول ان المنظمات الجماهيرية للشغيلة تساند بنشاط اكبر تحت ظل الاشتراكية ، عمل اجهزة الدولة

سواء سوية واياها او مستقلة عنها ، وتنجز بعض الوظائف الخاصة بما في ذلك وظائف الدولة • فكلما ارتفع المستوى المادي والثقافي للمجتمع ، كلما اصبح ناضجا اكثر وازداد عدد الوظائف والمهمات التي ستحول في المستقبل الى منظمات الرأي العام والمجتمع نفسه مباشرة ، هذه الوظائف والمهمات التي تقوم بها الان وتنجزها اجهزة الدولة • وفي بلغاريا لا تقتصر منظمات الرأي العام في نشاطاتها على اعضائها فحسب • انها ذات شمولية واسعة وترتبط بتحقيقه مصالح المجتمع ككل • وتساعد هيئات الدولة على انجاز مهماتها السياسية والاقتصادية ، وتلعب الجبهة الوطنية والنقابات والكومسمولدورا هاما بهذا الشأن • وهكذا يزداد مجال الديمقراطية الاشتراكية في بلادنا اتساعا وشمولا • وقد نص الدستور البلغاري على ان حكومتنا عند وضعها للخطط الاقتصادية تستند **الى تعاون منظمات الرأي العام النشيط** • فمثلا لنقابات العمال الحق في تقديم الاقتراحات من اجل احداث تغيير في اسس ومسودات الخطط الانتاجية والمالية ، وتقديم الاقتراحات بشأن تعيين مستوى العمل والاجور • لذا فان منظمات الرأي العام لا تتعاون مع هيئات الدولة او تقدم المساعدة لها لانجاز عدد من المهمات وحسب، بل وتتصل بها ايضا في كثير من الحالات من اجل القيام بنشاطات مشتركة لاتخاذ القرارات او لاصدار الوثائق ذات الاهمية بالنسبة للامة •

ان انخراط الشغيلة في ادارة المجتمع الاشتراكي امر ممكن ويقرره **انعدام التناقضات العدائية** بين مصالح الطبقة العاملة ومصالح الشغيلة · فالسلطة السياسية هي بأيدي طبقة تتطابق مصالحها مع مصالح غالبية شعبنا · وهي ظاهرة فريدة للديمقراطية الاشتراكية القائمة على اساس **الدور القيادي للطبقة العاملة والحزب الشيوعي ·**

ان هذا مظهر رئيسي للديمقراطية الاشتراكية ويقرر مظاهرها الاخرى باسرها · اما بشأن موقعها في المجتمع ورسالتها التاريخية ، فان الطبقة العاملة هي أكثر الطبقات تقدمية وثورية وحليف طبيعي للشغيلة باسرها في النضال من اجل التحرر الوطني والاجتماعي ومن اجل الديمقراطية ·

فبدون الحزب الشيوعي وبدون دوره القيادي ، ليس هناك من ديكتاتورية للطبقة العاملة ولا ديمقراطية اشتراكية، ولا بناء للاشتراكية ولا وجود للمجتمع الاشتراكي · فالحزب الشيوعي هو الشكل الاكثر كمالا للتنظيم الطبقي للطبقة العاملة · ومع هذا فهو ليس الشكل الوحيد للتنظيم الايديولوجي والسياسي · انه قائد سياسي لتنظيم الشغيلة وتوجيه نشاطاتها بموجب خطة من اجل انجاز هدف ·

ان الحزب الشيوعي البلغاري لم يفرض ابدا دوره القيادي على اية جهة كانت · انه ظفر بدوره هذا من خلال

كفاحه المتفاني الطويل الامد من اجل تحقيق مصالح الطبقة العاملة ، وتحرير جميع المضطهدين والمستغلين • انه ظفر بهذا الدور من خلال السياسة الصائبة التي انتهجها والتي تعكس الاتجاهات الموضوعية للتطور الاجتماعي ، من خلال وطنيته وامميته ، وامانته في النضال من اجل تحقيق مصالح وطموحات الشعب البلغاري • «١٤»

كما يحقق الحزب الشيوعي البلغاري زعامته العامة لدولتنا الاشتراكية ويوجه كافة نشاطاتها ، ويضمن وحدة العمل لجميع قطاعات النظام السياسي للديمقراطيةالاشتراكية ويؤمن التنسيق فيما بينها : هيئات الدولة ، نقابات العمال، الكومسمول، الجبهة الوطنية ، الاتحادات الثقافية، والمنظمات الاقتصادية والرياضية وغيرها •

«١٤» ـ تي• جيفكوف ، حول التوسع اللاحق للديمقراطية الاشتراكية• صوفيا ١٩٦٨ ص ٢٣ •

القسم الخامس

الديمقراطية الاشتراكية

ان الديمقراطية الاشتراكية هي صفة ملازمة للنظام الاجتماعي ـ السياسي لجمهورية بلغاريا الشعبية . وتؤمن للشغيلة فرصا لا حدود لها للمساهمة في حكومة البلاد وادارة الاقتصاد الوطني .

وبقدر ما تقلق قضية الديمقراطية السيادة الطبقية للبورجوازية في المجتمع وآلة سلطتها السياسية ، فان المستغلين حاولوا دائما العصف بها وتشويهها . ذلكم لان الديمقراطية هي المرادف للحكومة الشعبية لا كما يقيمها بعض السياسيين البورجوازيين والايديولوجيين بانها تعني البرلمانية ونظام تعدد الاحزاب والحملات الانتخابية . وكما هو عليه الامر في جميع الحالات الاخرى ، ومع هذه القضية بالذات ، ينبغي على المرء الا ينسى ان شكل اية ظاهرة لا يكفي تحديده بتقدير صحيح لمحتواها فحسب ، فبالنسبة

للديمقراطية ينبغي التأكد من مدى وجود الظروف الملائمة من اجل ممارسة حقيقية للسلطة الشعبية ، من اجل تفتح وتطور نشاط ومبادرة الشغيلة وحكمها المحلي ، من اجل الغاء الاستغلال ، ومن اجل ضمان المساواة بين المواطنين في المجالات الاقتصادية والسياسية والثقافية والاجتماعية ·

وفي بلغاريا تجد الديمقراطية الاشتراكية تعبيرا لها في المساواة بين المواطنين في المجتمع ، بما في ذلك المساواة في الميدان الاقتصادي · اذ ان الموقف المتساوي للشغيلة باسرها ازاء وسائل انتاج القيم المادية هو قبل كل شيء احد المبادىء الرئيسية للديمقراطية الاشتراكية · فتحت ظل الاشتراكية يتساوى جميع المواطنين في تحررهم من الاستغلال وفي ضمان توزيع القيم المادية على اساس مبدأ « من كل حسب قدرته ، لكل حسب عمله » ·

وتحت ظل الديمقراطية الاشتراكية فقط يمكن تحقيق هذا المبدأ الذي له نتائج هامة جدا على حقوق وحريات المواطنين ·

اما في المجال السياسي فان الديمقراطية الاشتراكية تستهدف جر الشعب للمساهمة في حكومة البلاد ، وفي العمل الخلاق من اجل بناء الاشتراكية ·· انها تخلق الظروف من اجل اضطراد مساهمة الشغيلة في اعمال الحكومة وادارة

الاقتصاد الوطني ، ومن اجل اقامة صلات مباشرة بين الاجهزة السياسية والمراتب الاجتماعية الواسعة ـ اي خلق امكانيات من اجل جرهم الى النشاط الانتاجي وعلى صعيد الامة · كما ان المساواة بين جميع المواطنين في المجتمع بصرف النظر عن العرق او القومية ، والتي تحققها الديمقراطية الاشتراكية على الصعيد العملي هي مظهر آخر للعدالة الاشتراكية ·

ثم ان الديمقراطية الاشتراكية سواء في البلاد السوفياتية او في الجمهورية الديمقراطية الشعبية هي نظام متميز لتنظيم وتحقيق السلطة السياسية في المجتمع الاشتراكي بقيادة الطبقة العاملة والحزب الشيوعي ، والتي تضمن مساهمة الشغيلة مساهمة شاملة في حكومة البلاد ، وفي جميع فروع الحياة الاقتصادية والثقافية على اساس الاسترشاد المثابر بمبادىء الحرية والمساواة والاخاء ، وذلك بحل المشاكل عن طريق غالبية الاصوات وخضوع الاقلية للاغلبية ·

كما ان وسائل ترجمة السيادة السياسية للطبقة العاملة في مجتمعنا الى واقع حي لا تحددها وظائف دولة ديكتاتورية البروليتاريا وهيئاتها ·ففي مجرى الثورة الاشتراكية تتحقق الزعامة السياسية في المجتمع للطبقة العاملة وعلى رأسها الحزب الشيوعي عن طريق النظام الشامل للهيئات السياسية

والاجتماعية : دولــة ديكتاتوريــة البروليتاريــا والمنظمــات السياسية والجماهيرية والاقتصادية والرياضية والثقافية ٠ لذا ليس هناك من ديمقراطيــة اشتراكيــة بــدون الزعامــة السياسية للطبقة العاملة وطليعتها ، اي بــدون ديكتاتورية البروليتاريا ٠ فضلا عن ان ديكتاتورية البروليتاريا لا يمكــن تصورها بدون دولةديكتاتورية البروليتاريا٠ ذلكم لان **تحالف الطبقة العاملة والفلاحين الكادحين والانتليجنسيا يشـــكل الاساس الطبقي لديكتاتورية البروليتاريا** ٠ ويمكننا ملاحظة ذلك بجلاء في النظام السياســي للديمقراطيــة الشعبيــة في بلغاريا حيث يتألف من المكونات الاربع الرئيسية التالية :

آ ـ الحزب الشيوعي ٠

ب ـ الدولة «باعتبارها مجموعة من الهيئات والاجهزة الخاصة بها» ٠

حـ ـ المؤسسات القانونية التي تضمن حقوق وحريات الشغيلة ٠

د ـ المنظمات السياسية وتنظيمات الرأي العام ٠

ولا شك ان شمول نظامنا السياسي الديمقراطي الشعبي على الاتحاد الزراعي البلغاري والجبهة الوطنية هو مظهــر

متميز لديمقراطيتنا الشعبية . وقد اظهرت تجربتنا التأريخية وممارساتنا انهما ضروريان وجزء هام من مكونات النظام السياسي للديمقراطية الشعبية في بناء القاعدة المادية والتكنيكية للاشتراكية ، وتطوير العلاقات الانتاجية الاشتراكية وتثقيف الانسان الجديد . ثم ان ادخال هذه المكونات في المجموعة التنظيمية وقيامها بوظائفها على اساس المبادىء التنظيمية الالزامية - العامة يؤمن وحدة النظام السياسي للديمقراطية الاشتراكية في بلادنا . وهكذا توجد وحدة ديالكتيكية وارتباط واعتماد متبادلين بين نظام الديمقراطية الاشتراكية واشكالها التنظيمية من جهة ، ومبادىء وظائفها التنظيمية من جهة اخرى .

ان الديمقراطية الشعبية في بلغاريا هي ديمقراطية ذات طراز اكثر كمالا ، ولكن هذا لا يعني انها لا تتغير . فالديمقراطية الشعبية تتغير ضمن اطار النظام الاجتماعي - السياسي نفسه ، وتتطور بفعل القوانين الموضوعية . اما الديمقراطية في المجتمعات الاستغلالية فانها تتطور بشكل عكسي طبقا لازدياد القيود المفروضة على حقوق وحريات الطبقات الكادحة ، وتنحدر نحو اشكال منحطة لتضمن سيادة أكثر الفئات رجعية في المجتمع . بينما تتميز الديمقراطية الاشتراكية بتطورها الصاعد المستمر القائم على القوانين

التي تحكم العملية والتي يقررها المستوى المرتفع للعلاقـات الانتاجية والعامة · فالانتاج الاشتراكي يرتبـط عضويـا بالمبادرات المشرقة لمنتجي القيم المادية، وبنشاطهم ومساهمتهم الجماهيرية في الانتاج الاجتماعي والحياة السياسية · ذلكم لان اقتصاد الاشتراكية يتطلب بالضرورة الزعامة الجماعية والرقابة الجماهيرية ومساهمة الشغيلة في الانتاج مساهمة نشيطة ، وفي تطوير التكنولوجيا والاستفادة منها · اي انه يتطلب بالضرورة ديمقراطية اشتراكية شعبية واسعة المدى ·

ثم ان الديمقراطية الشعبية في بلغاريا ترتبط مباشـرة بالقاعدة الاشتراكية وما تتركه التغيرات الحاصلة فيهـا من بصمات على النظام السياسي للامة ككل · لذا فان ديالكتيك القاعدة الاشتراكية ، والديمقراطية الاشتراكية ، انما هـو ديالكتيك متعدد الجوانب ، ففي مراحل معينة من تطـور الثورة الاشتراكية تلعب دولة ديكتاتورية البروليتاريا دورا حاسما · وقد مرت بلغاريا بمثل هذه المرحلة خلال السنوات الاولى بعد ٩ ايلول ١٩٤٤ عندما حلت دولـة الديمقراطيـة الشعبية بنجاح عددا من القضايا الاساسية للثورة الاشتراكية والتي هيأت توجيه ضربة قاصمـة للرأسمالـية في مجـال الصناعة في عام ١٩٤٧ وفي مجال الزراعة في عام ١٩٥٠ · اما عندما سادت العلاقات الاشتراكية الانتاجية فانها قـد

شرعت بلعب دور قيادي في العلاقة بين القاعدة والبنية الفوقية . لذا تطلبت هذه العلاقات بالضرورة تغييرات في بنية نظام الديمقراطية الشعبية كي تكون في مستوى متطلبات تطور وتحسين علاقات الانتاج الاشتراكية الجديدة . الا ان هذه العملية قد تعرقلت بسبب مظاهر عبادة الشخصية ، ولم يكن بالامكان استعادة القواعد اللينينية بالنسبة لزعامة الحزب والدولة بصورة تامة الا بعد عقد الجلسة الكاملة للجنة المركزية للحزب الشيوعي البلغاري في نيسان ١٩٥٦ . حيث وفرت سياسة نيسان للحزب الشيوعي البلغاري امكانية احداث اعادة تنظيم جذري لنظام الديمقراطية الاشتراكية ، واجراء تحسين شامل عليها .

ان الاشكال والاساليب التي تتبعها الزعامة السياسية والادارة الاقتصادية في آلة دولتنا تتغير طبقا للتبدلات الاقتصادية والاجتماعية ـ السياسية . فتحسين الادارة الاقتصادية واساليب قيادة الدولة انما تؤدي الى توسيع الديمقراطية الاشتراكية ، وتسهل تطور عملية جر اوسع فئات السكان للقيام باعمال الحكومة . ولا شك ان هدف الاصلاحات هو لتطوير النظام القائم للديمقراطية الشعبية ولكن ضمن اطار ديكتاتورية البروليتاريا .

وعندما تبرهن الاشتراكية على انتصارها ، وعندما

يشرع ببناء القاعدة المادية والتكنيكية للشيوعية ، تصبح ديكتاتورية البروليتاريا خالية من المحتوى بسبب اتمامها للمهمات التي تنجزها · حينئذ تتطور دولة ديكتاتورية البروليتاريا الى دولة اشتراكية للشعب باسره · وبطبيعة الحال تتغير الديمقراطية الاشتراكية ايضا من ديمقراطية بروليتارية من اجل الغالبية العظمى من السكان ، وتتحول الى ديمقراطية من اجل الشعب باسره · فالديمقراطية باعتبارها شكلا من اشكال السياسة الطبقية تتوقف عن الوجود تحت ظل الشيوعية · ذلكم لان الحكم المحلي الشيوعي للرأي العام سيمثل شكلا من اشكال زعامة المجتمع يتميز بمؤسسات جديدة تختلف عن تلك التي تميز مجتمعا منظما على أساس دولة ·

القسم السادس

آفاق الديمقراطية الشعبية

ان دولتنا الديمقراطية الشعبية لم تنجز بعد تماما وظائف ديكتاتورية البروليتاريا ، وستبقى في المرحلة الحاضرة من التطور الاجتماعي دولةلديكتاتورية البروليتاريا . ولكن بعض الوظائف واساليب العمل التي ينبغي ان تتطور ضمن دولة ديكتاتورية البروليتاريا تقرّبها اكثر فأكثر من دولة الشعب باسره وتطورها نحوها دون التخلي عن وظائف ديكتاتورية البروليتاريا . لهذا السبب توجد ضرورة للتحول الديمقراطي واتساعه بالنسبة للدولة والحياة العامة .

ولما كانت ديكتاتورية البروليتاريا اداة الثورة الاشتراكية ، فانها تضمن لبلغاريا امكانية السير الى امام وتهيئة الانتقال الى هدفها النهائي ـ بناء المجتمع الشيوعي.

لهذا السبب فان قضية ديكتاتورية البروليتاريا اذ تتحـــقق على شكل ديمقراطية شعبية ذات خصائــص متميــزة فـــي بلادنا ، فانها والحالة هذه هي قضية المحتـوى الرئيســـي لثورتنا البروليتارية · ان الموضوعات الماركسية ـ اللينينية حول عدم تجنب ديكتاتورية البروليتاريا تتضمن ضــــرورة موضوعية وقانونا صالحا لجميع البلدان السائرة علـــى طريق الانتقال من الرأسمالية الى الاشتراكية · انها تبقــى ايضا الشيء الرئيسي في الماركسية ـ اللينينية علــى وجه العموم ونظرية الدولة على وجه الخصوص بالنسبة لتطور المجتمع من الرأسمالية الى الشيوعية ·

ان دولة ديكتاتورية البروليتاريا هي مرحلة ضروريــة وتحكمها القوانين والزامية يمر من خلالها ايضا تطــــور دولتنا الديمقراطية الشعبية الاشتراكية · ولقد كانت هــذه المرحلة من التطور في اول دولة اشتراكية ، الاتحــــــاد السوفياتي، طويلة الى حد ما، بينما ستكون في الديمقراطيات الشعبية وفي بلادنا قصيرة الى حد ما ، ومن المحتمل انهــا لن تكون بنفس الطراز بالنسبة لجميعها · ان هذا يعتمد على الظروف الملموسة ، ولكنها لا تغيــر ملامحــها الاساسـية : طبيعة القوانين التي تحكمها ·

أن دولة ديكتاتورية البروليتاريا تمر ابــان المرحلـــة

الاولى من تطورها خلال فترتين اساسيتين : فترة الانتقال من الرأسمالية الى الاشتراكية ، وفترة توطيد الاشتراكية ، اي بناء القاعدة المادية والتكنيكية للاشتراكية واتمام بناء الاشتراكية « الانتصار النهائي والتام للاشتراكية » • ويطابق الفترة الاولى ايضا فترة تطور وتوطيد ديكتاتورية البروليتاريا ، اي دولة ديكتاتورية البروليتاريا وبروز مظهرها الالزامي خاصة عند بداية هذه الفترة • اما المظهرالاقتصادي والتنظيمي والبناء لديكتاتورية البروليتاريا فسيتطابق على وجه العموم مع الفترة الثانية ويبرز فيها • ولا شك ان هذا يختم عملية تطور الدولة الاشتراكية في مرحلة اعلى •

ان الشكل الديمقراطي الشعبي لسلطة الدولة لا يقتصر على مرحلة بناء الاشتراكية • انه شكل ملائم لبناء الشيوعية ايضا • لهذا السبب فانها تعمر اكثر من ديكتاتورية البروليتاريا وستتطور الى شكل دولة الشعب بأسره ، شكلا سينجز وظائف هذه الدولة • كما ستتطور دولة الديمقراطية الشعبية وتصبح اكثر كمالا كدولة للشعب باسره وذلك بارتقاء هذا الشكل الى مستوى الاداة الرئيسية لبناء الشيوعية • فالدولة الاشتراكية بشكلها الديمقراطي الشعبي تجعل من الممكن بناء الاشتراكية والشيوعية بدون الشكل السوفياتي لسلطة الدولة • ان هذا يدعم اهميتها التاريخية

العظمى . فتقريب دولة الديمقراطية الشعبية من الدولـــة الاشتراكية السوفياتية ليس عملية تضع نهاية لوجودها، بل هي عملية تطور وانجازات ، عملية ارتقاء ليس في المحتوى وحسب ، بل وفي الشكل ايضـا باتجـاه مسـتوى الدولـة الاشتراكية السوفياتية .

ولا شك ان النظام السياسي للديمقراطية الشعبية من الناحية المبدئية وبالنسبة لملامحها المميزة هو صنو للنظـام السوفياتي . الا ان لها عددا من الملامح الخاصة بها وتميزها وحدها فقط .

فالنظام السياسي للديمقراطية الشعبـية فـي اقطـار مختلفة يشتمل على احزاب سياسية مختلفة وكذلك علـــى وجود جبهات وطنية وشعبية ... الخ ومنظمات جماهيريـة وشعبية وسياسية .

لذا فان التطور الديمقراطي الشامل لطابعها الاجتماعي ككل ومكوناتها على انفراد هو قانـون عام لتطـور النظـام السياسي للديمقراطية الشعبية . هذا هو اساس اقتـــراب بعضها من البعض الآخر ، واتحاد المنظمات المختلفة فـــي نظام موحد سياسي وشعبي واشتراكي .

ان النظام السياسي للديمقراطية الشعبية سيستمر في الوجود ، وسيتطور الى ابعد ليس الشكل الديمقراطي الشعبي للدولة ابان مرحلة بناء الشيوعية وحسب ، بل وسيستمر ايضا النظام الديمقراطي الشعبي في البقاء . كما سيعمر النظام الديمقراطي الشعبي اكثر من ديكتاتورية البروليتاريا وسيتطور الى نظام سياسي للديمقراطية من اجل الشعب باسره ، نظام سياسي لمرحلة بناء الشيوعية .

ان هذا الافق للنظام السياسي للديمقراطية الشعبية في بلغاريا له ذات الخصائص الاساسية كما هو عليه الحال في البلدان الاشتراكية الاخرى، الا ان بعض الملامح الخاصة ضمن اطاره ، ستكشف عن نفسها في مختلف البلدان .

للمترجم

ـ كوريا في موكب الحرية ـ منشورات الارض ، بغداد ٠

« صودر وهو لما يزل في المطبعة عام ١٩٥٠ / ١٩٥١ ٠

ـ النفط والسياسة الخارجية ـ عن الانكليزية لمؤلفة ميكائيل بزوكس ، نشر في عام ١٩٥١ ـ بغداد ٠

ـ سياسة التعايش السلمي وحرية الشعوب ـ نشر في عام ١٩٧٠ ـ بغداد ٠

ـ قضية ايرلندا ـ نشر في عام ١٩٧٣ ـ دار ابن خلدون ـ بيروت ٠

ـ عام النصر ـ المارشال اي٠ كونيف ـ نشر في عام ١٩٧٥

دار الفارابي ودار ابن خلدون ـ بيروت ٠

ـ البرتغال الطريق الى النصر ـ نشر في عـام ١٩٧٥ ـ مطبعة الرواد ـ بغداد ٠

فهرس

صدر عن دار ابن خلدون

من سلسلة دليل المناضل (تجارب اشتراكية) :

١ ـ مقالات فيتنامية ...

لي ذوان
الجنرال جياب
هوك تاب

٢ ـ المستقبل للاشتراكية

تقرير فيديل كاسترو أمام
المؤتمر الاول للحزب الشيوعي الكوبي

يصدر قريبا :

٤ ـ الفاشية والطبقة العاملة
ديمتروف

سلسلة دليل المناضل

تهدف سلاسل دليل المناضل التي تقدمها دار ابن خلدون للقاريء العربي الى تقديم خلاصه مبسطة قدر الامكان لمختلف فروع المعرفه بمنهج علمي تقدمي .

وتشمل هذه السلاسل على :

١ – سلسلة : في النظرية
٢ – » : تجارب اشتراكية
٣ – » : تجارب حزبية
٤ – » : تجارب حركات التحرير الوطني
٥ – » : المكتبة الأقتصادية
٦ – » : المكتبة الأدبية
٧ – » : دراسات عربية

الثمن : ٣٥٠ ق. ل. او ما يعادلها